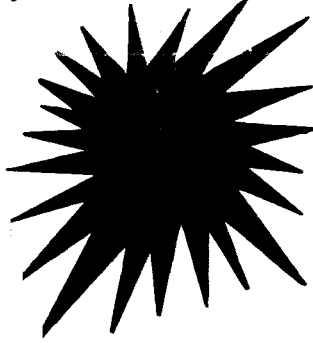
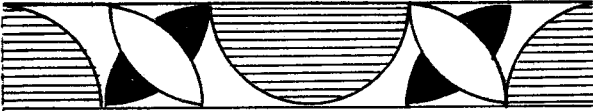


سلسلة الفكر العزبي

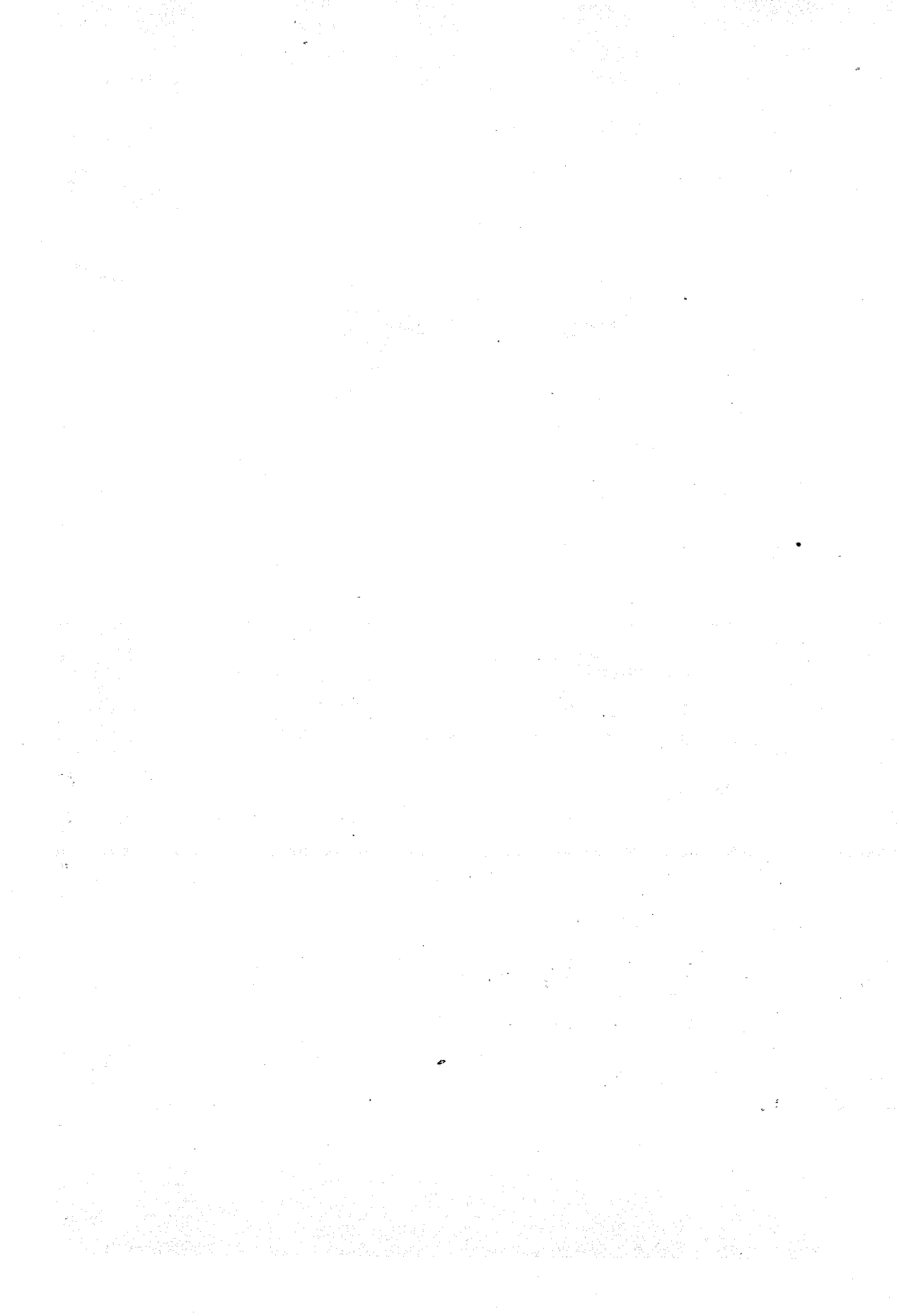


# التمضيل الاستراتيجي

للدكتور صلاح الدين المنجد



دار الكتاب الجديد



التَّضَلُّلُ السِّرِّيُّ

جميع الحقوق محفوظة

لدار الكتاب الجديد

الطبعة الاولى - أيلول ١٩٦٥

الطبعة الثانية - كانون الثاني ١٩٦٦

# إلى القاريء

أتيح لي ، في الشهور الستة الماضية ، أن أقرأ الكثير مما كتب عن الاشتراكية الماركسية باللغات الاجنبية .

ثم عكفت على قراءة ما تخرجه في هذا الموضوع بعض البلاد العربية ، التي تطبق الاشتراكية في بلادها . فكان من محصول هذه القراءات فوائد جمة .

ولعل افضل هذه الفوائد اطلاعي على طرق الدعوة الى الماركسية الاشتراكية ، وتقريبها للناس ، وتزيينها لهم ، وتضليلهم احيانا . ورغم تنوع هذه الطرق ، فانها جمعاء لا تعتمد على الصدق ولا الاخلاص ، بل هي قائمة على الغش والتضليل ، فكأن الدعاة الى الاشتراكية عندنا لا يجرأون على تقديمها في حقيقتها ، كما هي . فيعمدون الى هذه الطرق ، مستفيدين من الفراغ الثقافي الذي أصيبت

به الأجيال العربية الشابة ، ومن جهلها بتراثها الروحي ،  
وتاريخها وحضارتها •

ان كل ما ينبض به الواقع في البلاد الاشتراكية على  
طريقة ماركس ، - وان اختلفت مسمياتها - من قيود وفقير  
وآلام وتخلف ، تعكسه اللغة الماركسية تحررا ورخاء  
وغبطة وشبعا وسلاما وراحة وتقدما الخ •

وفي بلاد العرب ذهبوا الى أبعد من هذا ، فسلكوا  
طريق التضليل باسم الاسلام ، جاعلين الاسلام اولادينا  
اشتراكيا ، والاشتراكية من الدين الاسلامي ، ثم تدرجوا  
في الغلو ثانيا ، فجعلوا الماركسية نابعة من تراثنا الروحي  
كله ، ومن تاريخنا الطويل • وانتهى بهم الغرور الى القول  
بأن الاشتراكية حقيقة ازلية خلقها الله يوم خلق الدنيا !

وقد استجازوا في سبيل دعوتهم هذه تشويه التاريخ  
أو تزويره ، وقلب الحقائق ، واختلاق الحوادث ، وتفسير  
الامور على ما يحبون •

واذا كنا نحن نستنكر هذه الاساليب ونستكبرها ،  
لأنها تخالف الدين ، كلّ دين ، والاخلاق والقوانين ، فانها  
طبيعية جدا عند الماركسيين ، الذين يرون ان الدين

والاخلاق والقوانين ، « واجهات » برجوازية لا شأن لها ،  
ولا مانع يمنع من العبث بها .

فالكذب ، والخداع ، وتصوير الحقائق على غير ما  
هي عليه ، وقلب الباطل حقا ، والحق باطلا ، والتضليل  
المختلف الالوان ، والتشهير البذيء ، والقدح الظالم ،  
والطعن كل ذلك جائز في سبيل الدعوة الى الاشتراكية .  
وهدف كتابي تبيان هذا « التضليل الاشتراكي »  
الذي يرافق الدعوة الماركسية في البلاد العربية .

وما سأذكره هنا ما هو الا « امودجات » ، لأنني  
رأيت ان الاستقصاء يحتاج الى مجلدات .

فاذا استطاع كتابي ان يصف بعض ملامح هذا  
« الغزو » الاحمر او الاصفر ، ويظهر بعض اساليبه في  
الدعوة القائمة على التضليل ، فذاك حسبي . فإنما عمل  
المؤرخ ان يلاحظ ويسجل ويستخرج النتائج ويضع القوانين  
للحوادث .

صلاح الدين المنجد





## الفصل الأول

# ماهي الإستراكية التي يُريدون تطبيقها؟

١ - لكي نعرف هدف « الاشتراكية » التي يحاولون تطبيقها في بعض البلاد العربية يقتضي ان نذكر معنى « الاشتراكية » كما حدده لها واضعوها .

٢ - ولا بد ان نشير الى ان « الاشتراكية » عقيدة غريبة عن شرقنا ، غريبة عن المسيحية والاسلام ، غريبة بصورة خاصة عن الدين الاسلامي وأهدافه ، وعن تاريخنا وتقاليدنا . فالاسلام - ومصدره الاول القرآن - ، والتاريخ الاسلامي على اختلاف مجاريه واتجاهاته ، لم يعرفا هذه العقيدة على ما ظهرت عليه في اوروبة على ايدي

« ماركس » و « انكلز » ، ومن سبقهما ، مثل توماس مور او لحق بهما مثل « لينين » و « ستالين » . فهي شيء اوروبي المنشأ بجملته ، ولدته ظروف اوروبية خاصة في القرن التاسع عشر .

٣ - ثم نود ان نذكر ان كلمة « الاشتراكية » لم تطلق الا على هذه العقيدة الاوروبية بجملتها . فهي عقيدة لها مبادئها ووسائلها واهدافها ، وهي بناء له حدوده وصفاته .

فعندما نسمع كلمة « الاشتراكية » ، تنطلق افكارنا رأسا الى هذه العقيدة الاوروبية بذاتها ، لا الى سواها ، وتنطلق افكارنا الى « ماركس » و « انكلز » خاصة . كما اتنا عندما نسمع كلمة « الرأسمالية » يتجه فكرنا الى عقيدة ومذهب اقتصادي مشهور ومعروف ، وكذلك عندما نذكر « الاسلام » مثلا ، فان ذهننا ينصرف رأسا الى عقيدة « التوحيد » وما احيطت به من نظم واحكام تميز بها الاسلام . فلو افترضنا ان في اشتراكية « ماركس » مثلا شيئا ما يشبه ما في تعاليم « بوذا » ، فلا يمكن ان نجعل « ماركس » بوذا ، ولا عقيدته بوذية . ولو فعلنا لاتهمنا حتما بالجنون او بالكذب والتضليل . وكذلك

الامر عن الاسلام ايضا ، لان لكل عقيدة كيانا متميزا  
من كيان سواها ، واهدافا لا تطابق اهداف غيرها . وقد  
يتشابه شخصان في بعض الجزئيات فلا يجعلهما هذا  
التشابه شخصا واحدا ، ولا يجعل بينهما نسب قرابة .

# الإشتراكية الأوروبية

٤ - اذن ما هي « الإشتراكية » الأوروبية ؟

يقول « نورمان ماكنزي » في كتابه عن الإشتراكية :  
« ان الإشتراكية كلمة عامة • وانها تعني اشياء مختلفة عند  
أناس مختلفين ، حتى انه بلغت معانيها المائتين ، في  
بريطانيا وحدها • فرأى بعضهم انها اكثر التنظيمات  
الاجتماعية كفاءة واحتكاما الى العقل لاستخدامها الموارد  
الانسانية والمادية احسن استخدام • ورأى فريق آخر ،  
وهم الماركسيون ، ان الإشتراكية هي الخطوة الوحيدة  
الممكنة والمنطقية لتقدم البشرية • الى غير ذلك من  
التفسيرات » - ( ص ٨٧ )

وكان اكثر المفكرين الإشتراكيين اثرا في توجيه  
العقيدة الإشتراكية كارل ماركس الالماني ، ذو الاصل  
اليهودي • ثم انقسم الإشتراكيون الى معسكرين :  
المعسكر الاول هو اليسار الإشتراكي الماركسي ، ثم  
اللينيني ، الذي تسيير على مبادئه دولة الاتحاد السوفياتي،

واوروبه الشرقية والصين الشيوعية ، على ما بينها من اختلافات ظهرت اخيرا ، والمعسكر الثاني هو اليسار الاشتراكي الديموقراطي ، الذي يمثله حزب العمال الانكليزي . وكل معسكر من هذين المعسكرين لا يثق بالآخر ، ويرى انه لا يمضي على الطريق التي توصل الى الاشتراكية الصحيحة ، ( ص ٩-١٠ ) فكل منهما يفهم العقيدة على شكل يخالف فهم الآخر .

٥- ولست اريد أن أكتب تاريخا لتطور معنى الاشتراكية ، ولا أن أذكر ما قاله روادها واتباعها امثال توماس مور في « مدينته الفاضلة » أو « سان سيمون » أو « روبرت اوين » أو « لويس بلان » أو « برودون » أو « هيغل » أو « لاسال » أو « باكونين » أو من جاء بعدهم ، فهذا شيء طويل . وقد ألف فيه كتب كثيرة وافية ، وانما أريد أن أذكر معنى الاشتراكية ، عند هذين المعسكرين اللذين يتنازعان فهم معنى « الاشتراكية » ولم يتفقا عليه . وهما : الاشتراكيون الماركسيون ، والاشتراكيون الديموقراطيون .

٦- اما « الاشتراكية الماركسية » فتنسب الى « كارل ماركس » الالماني . كان من اسرة يهودية ، اعتنقت

المسيحية . ولد سنة ١٨١٨ في بلدة « تريف » ، ونال  
الدكتوراة في الفلسفة ، وتأثر بأراء « هيغل » التي يعود  
اليها فضل تكوينه الفكري . ورفضت جامعة « بون »  
ان يكون محاضرا فيها ، فسبب ذلك له عقدة نفسية ،  
فاتجه الى الصحافة . وكان كسولا ، انايا ، يطلب المال  
من ابيه دون ان يعمل . وسمته أمه باسم « الطفيلي » ،  
واشتهر بكذبه وعدم وفائه بعهوده ، وبالطعن دائما على  
اساتذته واصدقائه ، ثم اجبر على الرحيل من المانيا بسبب  
ما كتبه عن الفلسفة المادية الاشتراكية . فسافر الى باريس  
والتقى بعدد من الثوريين والعماليين . وهناك عرف  
« انكلز » الالمانى الاصل ، الذي اصبح صديقا له . واتفقا  
في اهدافهما وآرائهما ، فكلاهما كان يريد تطوير فلسفة  
« هيغل » الجدلية لتصبح تحليلا اشتراكيا للمجتمع  
الرأسمالي .

وقد ألف كل منهما مؤلفات تظهر آراءه ، وهي آراء  
لا تختلف . وقد وضع ماركس آراءه عن «المادية التاريخية»  
وحلل التكوين الاقتصادي للمجتمع في كتابه « رأس  
المال » . واتصلا بالجمعيات السرية التي كونها الاشتراكيون  
والشيوعيون في باريس ، وألفا « عصبة الشيوعيين »  
هناك ، وصدرا « البيان الشيوعي » المشهور . وما كان

هذان الصديقان يعتقدان ان آراءهما قد وضعت في اطار نهائي ثابت . وقد ساعد « انكلز » على نشر آراء « ماركس » ومقالاته ، ومؤلفاته بعد وفاته سنة ١٨٨٣ م .

و « البيان الشيوعي » ، أو « الميثاق » ، الذي أصدره يعتبر « أقوى وثيقة في تاريخ الاشتراكية » ، على قول « ماكنزي » . وقد تضمن الاسس التي تقوم عليها الحركة الاشتراكية ، على شكل حزب منظم مترابط .

ان اهم المبادئ والآراء العامة التي جاء بها « ماركس » و « انكلز » في « الميثاق الشيوعي » وفي الكتب المختلفة التي أصدرها هي :

١ - الدعوة الى الالحاد . فليس في الكون اله ، وانما هي المادة وحدها ، على انه لا يجب التصريح بذلك في بعض الظروف .

٢ - فسر الفلاسفة العالم بطرق مختلفة . الا أن المهم هو ان نغير هذا العالم ، وتغيير هذا العالم يكون بالثورة ، وبالصراع الطبقي .

٣ - التاريخ هو سلسلة تطور اجتماعي مستمر ، ويجب تفسير التاريخ على اساس مادي اقتصادي بحت .

٤ - صراع الطبقات هو حتمي وطبيعي ، ويجب نقله الى الميادين كافة : في السياسة والفلسفة والقضاء ، والقوات المسلحة ، والدين .

٥ - نظام الانتاج (١) في المجتمع هو الذي يحدد الاطار الاجتماعي والسياسي لهذا المجتمع .

٧ - الاشتراكية حل حتمي لمشكلات المجتمع الاقتصادية ، ولا بد منه . فالملكية الفردية لوسائل الانتاج - وهي الارض ورأس المال والعمل - يجب ان تلغى لتصبح جماعية .

٨ - يجب القضاء على البورجوازية ( الطبقة الوسطى ) ، وعلى الرأسمالية التي تصبح عند نقطة معينة من سيرها ، عائقا دون التقدم البشري . ويجب ان تتسلم الحكومة « الطبقة العمالية الواحدة » ، وتقيم مجتمعا جديدا .

٩ - عندما يقيم العمال حكومتهم « دكتاتورية

---

(١) فضلت كتب الاقتصاد آراء ماركس في الانتاج والعمل والقيمة وفائض القيمة والارباح وغير ذلك وهي تفصيلات خاصة يرجع اليها في مظانها .



العمال » ، يصبح الناس لأول مرة في التاريخ احرارا ،  
ويسود المجتمع السلام ، فلا يهدده الحرب ، ولا الصراع  
الطبقي .

١٠ - تعتبر الماركسية الاسرة دعامة المجتمع  
البورجوازي ، وترى ان الحب الحر او الطليق ينبغي ان  
يحل محل الزواج الشرعي . ويقرر « انكلز » ان الاسرة  
هي وضع من اوضاع مجتمع لا تُضج فيه ، ولا ينبغي  
استبقاء هذا الوضع الا بالقدر الذي يلائم مصلحة الدولة .

اما اهم التطبيقات الاشتراكية التي أوردها ماركس  
وانكلز في البيان الشيوعي ، والتي ينبغي الوصول اليها  
بطريق الثورة وبطريق تحريك الصراع الطبقي ، فهي :

- ١ - تأميم الارض والغاء الملكية الخاصة لها .
- ٢ - تأميم وسائل النقل والمواصلات وجعلها في  
ايدي الدولة .
- ٣ - تأميم ملكية وسائل الانتاج والمصانع .
- ٤ - الغاء حق الارث .
- ٥ - مصادرة اموال المهاجرين والتمرديين .

٦ - تركيز الائتمان في أيدي الدولة عن طريق بنك واحد وطني برأس مال حكومي يحتكر عمليات الائتمان .

٧ - فرض ضريبة تصاعدية مرتفعة على الدخل .

وقد اطلق على اشتراكية ماركس اسم « الاشتراكية العلمية » وأصبح هذا الاسم يدل عليها دائما ، تميزا لها من الاتجاهات الاشتراكية السابقة لها او المعاصرة .

تلك هي هم المبادئ والآراء التي جاء بها ماركس ، وقد جاء لينين من بعد ، واطاف الى هذه المبادئ والآراء تفسيرات واجتهادات جعلها لينة مصقولة ، بعد أن رأى ان تطبيق الماركسية حرفيا ادى الى كوارث في روسيا ، فأتمى « بالماركسية - اللينينية » .

٧ - اما الاشتراكية الديمقراطية التي يمثلها حزب العمال البريطاني ، فهي التي تسمى الاشتراكية الفابية ، نسبة الى « الجمعية الفابية » التي دعت في انكلترا ، بعد أن تأسست عام ١٨٨٤ ، الى « اشتراكية اصلاحية » ، لا هدامة . ومن ثم اصبح هدف الاشتراكية البريطانية ، على قول ماكنزي ، هو الاصلاح الدستوري للمجتمع ، اكثر منه الاستحواذ على السلطة بطريق الثورة ( ص ١٠٤ ) .

وقد تزعم هذه الجمعية منذ البداية بعض كبار المفكرين ،  
مثل جورج برنارد شو ، الأديب العالمي الذي توفي عام  
١٩٥٠ .

وكلمة «فايية» نسبة الى القائد الروماني «فايوس»  
الذي اشتهر بانه متلكيء متردد مسوف . وقد انقذه  
تسويفه وحدره من هانيبال ، واستطاع ان يوقف تقدمه .  
وشعار هذه الجمعية هو مبدأ « بنتام » ، فيلسوف  
الاخلاق البريطاني في القرن التاسع عشر ، الذي يهدف الى  
ضمان « اعظم سعادة لأكبر عدد من الناس » .

وتعتبر هذه الجمعية اول جماعة بحثت بوضوح فلسفة  
« الاشتراكية التدريجية » . التي اصبحت اساسا عمليا  
لسياسة الاحزاب العمالية والاشتراكية في معظم البلدان  
ذات الدساتير البرلمانية ( انظر : « في اشتراكية العربية »  
لصلاح مخيمر ، وعبد مبخائيل رزق ، ص ٧٢ )

ويمكننا ان نلخص اهم المبادئ العامة للاشتراكية  
الفايية بما يلي : كما وردت في كتاب « مقالات في  
الاشتراكية الفايية لجورج برنارد شو » :

١ - ان المجتمع يتقدم بخطى ثابتة ، عن طريق التغييرات

البطيئة في وظائفه وتكوينه اكثر من تقدمه بالوثبات  
الثورية . وكل اصلاح يوسع نطاق الملكية العامة  
او الاشراف العام يعتبر تطبيقا للاشتراكية ، وبذلك يمكن  
الوصول الى الدولة الاشتراكية بالتدرج ، وبشكل غير  
ملحوظ تقريبا . (ماكنزي ص ١٢٣) فالتغيير التدريجي هو  
ضرورة واساس .

٢ - ان الفايئة هي خصم للانقلاب ، والتمرد ،  
والعصيان . وهي نزعة ايجابية نشطة ، وهذا أدى بها  
الى النزعة الدستورية .

٣ - تأميم الارض يعتبر في حكم السرقة التي لا تليق  
بالاشتراكيين ، لذلك يجب شراء الارض التي يحتاج اليها ،  
وتشتري بأمانة ، وتحصل الحكومة على نقود الشراء او  
الفائدة منها ، عن طريق الضرائب على الايجارات ، مثلما  
تفرض الضرائب على رأس المال .

٤ - تهدف الفايئة الى اختفاء تنوع الطبقات، ليتوحد  
المجتمع داخل طبقة واحدة لها رأي عام واحد . أما  
التحول التدريجي الى الديموقراطية الاشتراكية فمعناه  
« التوسع المتدرج في إباحة حق التصويت ، وجعل  
الايجارات والفائدة في يد الدولة ، على ان لا يتم هذا دفعة

واحدة ، وإنما على دفعات » - (في الاشتراكية العربية  
ص ٥٧ )

٥ - وثمة اختلاف مهم بين ماركس والفايبيين فيما يتعلق بفائض القيمة • فهم يرون أن كل دخل يحصل عليه مالك الأرض ، أو صاحب العمل إنما هو من الأيجار الذي يحصلان عليه من ملكيتهما لوسائل الإنتاج ، وليس هو فائض القيمة الذي يقدمه العمال كما ادعى ماركس •

٦ - ولا يعتقد الفايبيون بوجود حاجة ملحة لإحلال الاشتراكية بسرعة محل الرأسمالية • ويرون أنه لا يجب بالضرورة أن ينحدر المجتمع إلى الهاوية ولو تأجل قدوم الاشتراكية إلى أجل غير مسمى • ويرون أنه لا يوجد فاصل واضح بين المجتمع الرأسمالي والمجتمع الاشتراكي ، وأن بالإمكان أن يتحول أحدهما إلى الآخر خطوة خطوة عن طريق الإجراءات التشريعية •

٧ - واعتقد الفايبيون بإمكان تحويل الأرض والمصانع ومراكز إنتاج غاز الاستصباح ، والسكك الحديدية من الملكية الخاصة إلى ملكية الدولة بالطرق الدستورية الديمقراطية •

٨ - رفض الفايون فكرة ماركس القائلة بان المجتمع منقسم الى طبقات « متعارضة » او متناحرة ، وخالفوا ماركس ايضا في مفهومه للدولة . فقد رأوا فيها قوة محايدة تماما في المجتمع وليست اداة في يد طبقة معينة للتحكم والسلطان كما ادعى ماركس . وعلى هذا فان سلطات الدولة ووظائفها تكون تحت تصرف أي مجموعة تحرز اغلبية في مجلس العموم . وظلوا محافظين على اعتقادهم ان الدولة في ظل الديمقراطية تقوم على حق الانتخاب العام ، وبذلك تصبح دائما رهن تصرف الاغلبية ، وان جهاز الديمقراطية البرلمانية صالح وجدير باقامة الاشتراكية بالرضا والقبول .

٩ - اهتم الفايون بالاصلاحات الداخلية قبل ان ينظروا الى الخارج ، فليس عندهم دعوات للثورات العالمية في كل مكان ، فالاهتمام باصلاح البلاد داخليا هو قبل كل شيء . فليس من العقل ان تترك ابناء البلاد يموتون من الجوع او المرض ، وتتجه لتبذير الجهود والاموال لاقامة الثورات الاشتراكية في الخارج .

١٠ - وأخيرا فان الفايون تعتبر اسلوبا من اساليب « الاصلاح النيابي في نطاق المجتمع الرأسمالي » ،

وليست الغاية من الاشتراكية «قلب المجتمع وتغييره» ، بل اجراء تغييرات جزئية تفضي نحو الجماعة . واعتقدوا ان ماركس كان مخطئا في كثير مما تنبأ به .

ويلخص سيدني ويب ، الذي كان رئيسا للجمعية الفابية وصف برنامجهم فيقول : « ليس في هذا البرنامج ( التدريجي ) ما يجبر على استخدام لفظ اشتراكية أو ثورة . وليست هناك في هذا البرنامج مرحلة تستدعي المقصلة او اعلان حقوق الانسان ... »

٨ - وعلى خلاف ما كان يراه ماركس ، غدت روسيا مرتعا خصبا لانتشار آرائه . وقد كان يطلب منه الذهاب اليها ، ولكنه كان يرى انها لا تصلح للاشتراكية الماركسية ، لانها غير مصنعة ، وليس فيها رؤوس اموال ضخمة . وكان ينتظر دائما ان تنشب الثورة في انكلترا ، حيث المصانع والاموال . لكنه لما يأس اراد أن ينقل مركز دعوته الى نيويورك .

واذن ، فرغم ان روسية غير مصنعة ، بل كانت بلادا زراعية ، فقد انتشرت فيها الروح الثورية . وجاء « لينين » فحمل راية الماركسية وطبقها ، وازاد اليها تفسيرات

خاصة • وثبعه تروتسكي وستالين ، لكنهم لم يخرجوا عن آرائه الأساسية وأهدافه ووسائله ، ويمكن ان نقول ان اوسع تجربة ماركسية هي التي قام بها لينين وخلفاؤه في روسية •

٩ - ومن ناحية اخرى مالت البلاد الاسكندنافية الى اشتراكية الفايين ، ولم تحاول احزابها الاشتراكية اللجوء الى الثورات والانتقالات واعمال العنف • ورفضت مبدأ « ماركس » القائل بالنضال العنيف بين الطبقات ، وفضلت التغيير المطلوب بطريق الاصلاح الدستوري • ولم يكن لديها أي رغبة في القضاء على مُلاك الارض ، او الرأسماليين • وتصرفت هذه الاحزاب تصرف المصلحين التقدميين • وكانت متزنة سليمة في نزاعاتها وأهدافها حتي اصبحت البلاد الاسكندنافية نموذجا للتقدمية الصحيحة ، والازدهار المطرد ، والرخاء العميم ، والاستقرار السياسي المستمر •



# الاشتراكية العربية

فلننظر ، بعد ما تكلمنا عن معنى « الاشتراكية » في اوروبة ، ومفهومها الماركسي والفابي ، ما هي الاشتراكية التي تطبق في البلاد العربية .

لقد ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية حركات اشتراكية في مصر وسورية ولبنان ، ولكنها بقيت هزيلة . ولم تصبح الاشتراكية ذات شأن الا حين قرر الرئيس عبد الناصر في تموز ١٩٦١ تطبيق الخطوات الاولى من الاشتراكية، فكانت مصر بذلك اول بلد اشتراكي النظام في العالم العربي ، واتخذت الاشتراكية هدفها ، وقررت العمل على « وحدة الهدف » ، أي على نشر الاشتراكية في البلاد العربية . وبهذا سنبداً بدراسة هذه الاشتراكية لنعرف صلتها بالاصول والمذاهب الاشتراكية الاخرى .

من الواضح ان الاشتراكية التي اختارتها القاهرة لم تكن بمفهوم واحد ، منذ بدأت الدعوة اليها . فبينما نجد الرئيس عبد الناصر يشير قبل عام ١٩٦١ الى اقامة « مجتمع اشتراكي ديموقراطي تعاوني » ويتساءل كيف يقيم هذا

المجتمع ، وبينما نجده يهاجم الشيوعية اشد هجوم ، وبينما نجد عبد القادر حاتم في عام ١٩٦٠ يقول في كتابه « اشتراكيتنا » ان هذه الاشتراكية هي الاشتراكية الديمقراطية التي يطبقها حزب العمال البريطاني .  
والدكتور حاتم رجل مسؤول لا ينطق عن الهوى ، وبينما نجد ايضا في جميع المطبوعات التي كانت تصدر للدعاية كلمة « الاشتراكية الديمقراطية » ، نرى ان عام ١٩٦١ كان حدا فاصلا للتحول في مفهوم الاشتراكية المصرية ، او في طريقها الذي اختارته . فقد جاء « الميثاق » الذي اعلنه الرئيس عبد الناصر يمحو ما قيل من قبل ، ويثبت اتجاهها آخر .

ان « الميثاق » ، وهو الذي يبين اسلوب الحكم وطرقه واهدافه في مصر يقول :

« الاشتراكية العلمية هي الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم .

« ان اي منهج اخر لا يستطيع ، بالقطع ، ان يحقق التقدم المنشود . » - الميثاق ، ص ٧٣

هذا النص الهادي واضح وضوح الشمس ان

« الاشتراكية العلمية » هي ما اختارته الاشتراكية المصرية،  
لا غيرها .

ولقد رأينا في نهاية الكلام على المذهب الماركسي ان  
الاشتراكيين الماركسيين اطلقوا على مذهب ماركس اسم  
« الاشتراكية العلمية » تمييزا لها من اتجاهات اشتراكية  
اخرى ، فأصبح علما لها وحدها .

تري ، هل كان الميثاق ينظر الى قول « لينين » عن  
الماركسية عندما جعلها المنهج الاوحد الذي يحقق التقدم ؟

لقد قال « لينين » : « ان العقيدة الماركسية عقيدة  
جامعة مانعة ، انها كاملة ومتجانسة » .

وقد اعتقد الكثيرون ، عندما قرأوا « الميثاق » ، في  
مصر ، وغيرها من البلاد العربية . ان الفئة الحاكمة في مصر  
قد سارت في طريق الماركسية ، لانها هي الاشتراكية  
العلمية ، فثارت انتقادات ، وتساؤلات ، مما اضطر الرئيس  
عبد الناصر ان يقول شيئا في هذا الموضوع . عدّه بعض  
الناس « تراجعاً » ، وعدّه الآخرون تفسيراً جديداً  
« للاشتراكية العلمية » ، لم يسبقه اليه احد من زعماء  
الاشتراكية الماركسية .

ففي احد خطابه قال الرئيس ما نصه :

« لقد قال الميثاق ان «الاشتراكية العلمية» هي  
الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم ، وانا  
اريد ان اكرر فأتكلم في هذا الموضوع .

« لقد قيل ان كلمة الاشتراكية العلمية هي من  
الكفر ، وانا ماركسية ، وسمعت انا هذا الكلام .  
واظن ان كثيرين منكم سمعوا ايضا هذا الكلام ،  
فما معنى الاشتراكية العلمية ؟

« انا اشتراكية عربية ، ولسنا اشتراكية علمية،  
وهذا الكلام ان دل على شيء فانما يدل على مغالطة .  
فمثلا عندما نتصفح الجرائد في الصباح نرى انها  
تقول احيانا : ان فرق كرة القدم تخسر ، وكى تكسب  
يجب ان تتدرب ، وان تلعب بطريقة علمية . ان أي  
فرد كى ينجح يجب أن يسير على طريقة علمية . واذا  
كنا نريد اشتراكية سليمة ناجحة ، يجب ان تكون  
بطريقة علمية . وعكس الطريقة العلمية هي الطريقة  
الفوضوية . فاشتراكيتنا اذن اشتراكية علمية قائمة  
على العلم ، وليست قائمة على الفوضى ، وهي  
ليست أبدا اشتراكية مادية ، لم نقل ان اشتراكيتنا

اشتراكية مادية ، ولم نقل ان اشتراكيتنا ماركسية •  
ولم نقل اننا خرجنا عن الدين • بل قلنا ان ديننا دين  
اشتراكي ، وان الاسلام في القرون الوسطى ، حقق  
اول تجربة اشتراكية في العالم • وأنا اقول هذا الكلام  
بوضوح »

قد يقبل هذا التفسير اولئك الذين لم يطلعوا على  
المذاهب الاقتصادية في العالم ومسمياتها ، وعلى المذهب  
الماركسي خاصة ، وما سُمِّي به • اما الذين عرفوا  
« الاشتراكية الماركسية » ومعانيها ، فلا يقبلون بهذا  
التفسير •

ذلك لان « الاشتراكية العلمية » اصبت ، كما  
ذكرنا ، علما يدل على مذهب معروف ، موصوف ،  
مشهور • كما أن « الفابية » اصبت تدل على مذهب  
معروف أيضا ، وكما ان « الرأسمالية » تدل على شيء  
معروف ايضا •

ولو قبلنا التفسير الجديد للاشتراكية العلمية ، فلنا ان  
تساءل : ما هو « العلم » الذي تستمد منه الاشتراكية  
القاهرة هديها ، وتمشي على نوره وتوجيهه ؟

والجواب على هذا السؤال يقفز بسرعة : فليس في  
الدنيا « علم » تستمد منه « الاشتراكية » - على اختلاف  
ألوانها - أصولها ومبادئها ، الا « الماركسية » ، سواء  
اتبعوا كل تعاليمها او أهملوا بعضها . فهي النور الاول  
لجميع الاشتراكيين الذين جاؤا بعد ماركس .

ولو اننا استعرضنا التطبيقات الاشتراكية التي أنجزت  
في مصر ، مبتدئين بتحطيم الرأسمالية ، وقهر البرجوازية  
التي أطلق عليها اسم « الرجعية » ، مارين بالتأميم على  
اختلاف انواعه ، وبالتنظيمات السياسية والاجتماعية  
والاقتصادية ، لما وجدناها الا مستوحاة من الاصول  
الماركسية . ان روح ماركس ترفرف فوقها . ولا يهنا ان  
اختلفت عنها احيانا في امور ثانوية اقتضتها الظروف  
الحاضرة ، اما المبادئ فواحدة .

ولو أننا عارضنا ايضا بعض التعابير ، بل الالفاظ  
الواردة في الميثاق ، بما جاء في اقوال ماركس وتعاليمه ،  
لوجدناها « طبق الاصل » .

ان الاشتراكية ، على ما اظهرها ماركس قد اصبحت  
عقيدة عالمية . فكل ما نسب او تسمى باسم « الاشتراكية »

فهو مستمد منها . لان هناك مبادئ محددة معينة لا بد من توفرها في أي دعوة ما ، لكي يطلق عليها اسم « الاشتراكية الماركسية » . وهذه المبادئ موجودة في الميثاق .

ثم اننا نخالف كل المخالفة القائلين « بأن ديننا دين اشتراكي » . من الواضح ان الغاية من هذا القول هو ترغيب المصريين ، المتمسكين بالدين الاسلامي في اعتناق الاشتراكية . لكن الدين ينبغي ان يحافظ على جلالته وقداسته ، وان لا يهبط به الى مستوى الاشتراكية .

فليس الاسلام بدين اشتراكي . ان في نسبة مبادئ ماركس اليه ، بمفهومها العلمي المعروف ، انتقاصا من شأنه وتشويها لدعوته الانسانية . الدين الاسلامي نظام قائم بنفسه ، لا ينسب الى مذهب اوروبي جديد ولا قديم . ان فيه كل ما قد توجه الحياة ، وفيه حلول لمشكلات الحياة ، وفيه قواعد للفرد وحقوقه وواجباته نحو المجتمع ، وفيه قواعد للمجتمع وواجباته نحو الفرد . واذا قصر أهله في فهمه واتباعه فليس النقص منه . الدين الاسلامي ليس ألعوبة حتى ينسب الى كل عقيدة اوروبية تظهر وتغزو بلاد الاسلام .

عندما انتشرت الدكتاتوريات الفاشية في اوروبه قـبـل  
الحرب العالمية الثانية قالوا : الاسلام دين دكتاتوري ،  
وطنظنوا بهذه النعمة ، وجعلوا عمر بن الخطاب المستبد  
- أي الدكتاتور - العادل . وعندما أخذت الشيوعية  
الروسية تغزو بلادنا ظهر كتابها ودُعائها يقولون : الاسلام  
دين شيوعي ، وجعلوا ابا ذر الغفاري اول شيوعي في  
الاسلام (١) . والان جاء دور الاشتراكيين العلميين ليقولوا  
ان الاسلام دين اشتراكي ، حتى ان احد الاساتذة المصريين  
ألف كتابا في جزأين عن « اشتراكية عمر » الذي كانت  
الدكتاتوريات تراه دكتاتورا !

وانه ليعجبني ما كتبه الاستاذ عبد المنعم نمر في هذا  
الشأن عندما قال : « . . . فلا ترفعوا الاصوات اذن بأن  
الاسلام هو الشيوعية ، أو الديموقراطية الغربية ، أو  
غيرها ( وأضيف : الاشتراكية ) ، لمجرد التشابه وبعض

---

(١) لانه استشهد بقوله تعالى : «يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من  
الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله .  
والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب  
اليم» وفي اسباب النزول ان هذه الاية نزلت في اهل الكتاب ، وليس في  
المسلمين . واختلف المفسرون في تفسيرها .



التلاقي بينه وبينها في الغاية او الوسيلة . فللاسلام خطته  
الكاملة الشاملة التي لم ، ولن ، تتوفر لاي نظام ظهر للان،  
او يظهر فيما بعد ( وأضيف : اذا احسن فهمه وتطبيقه  
واتباعه ) - انظر : ( الاسلام والشيوعية ص ١٤٠ )

وقد كنا ذكرنا في تمهيدنا لهذا الفصل انه لو ورد  
في مذهب بوذا ما يشابه مذهب ماركس ، فلا يصح ان  
نجعل ماركس بوذا ، ولا ان نجعل البوذية ماركسية .  
وكذلك لا يمكن ان نجعل ماركس مسلما اذا ورد في مذهبه  
جزئيات جاء بها الاسلام ، ولا أن نقول ان الاسلام دين  
اشتراكي ماركسي ، كما قال الرئيس عبد الناصر .



## الفصل الثاني

# المُوافقات بين مبادئ ماركس ومبادئ الميثاق

لعل الذين وضعوا المبادئ الاساسية في « الميثاق » المصري لم ينتبهوا الى تلاقيها مع تلك التي جاء بها ماركس، في « الميثاق الشيوعي » وغيره، وكانت اصولا للماركسية وفيما يلي بعض الامثلة :

١ - ان ماركس اعتمد في « الميثاق الشيوعي » قبل كل شيء على « الثورة » وجعلها الوسيلة الوحيدة « للتغيير »، واساسا لكل تقدم . وفي « الميثاق المصري » نجد الحاحاً شديداً على الثورة ، فهو يقول : « لقد أثبتت التجربة ، وهي مازالت تؤكد كل يوم ، ان الثورة الطريق الوحيد » .

ويقول ايضا : « الثورة بالطبيعة عمل شعبي  
وتقدمي » « الثورة تقدم بالطبيعة » .  
وكما ان ماركس دعا عمال العالم كلهم الى الاتحاد  
والعمل الثوري ، كذلك دعا الميثاق المصري الى جعل  
الثورة الاشتراكية هدفا للبلاد العربية جمعا .  
والميثاق المصري مليء التعابير والالفاظ الثورية ،  
ومنها :

ارادة الثورة العتيدة في الشعب ، الصدق الثوري ،  
التفجير الثوري ، الثورة الشاملة ، الثورة الاصيلية ،  
الطلائع الثورية ، الوعي الثوري ، التطلع الثوري ، كفاح  
الشعب الثوري ، الفكر الثوري ، الطابع الثوري ، الجماهير  
الثورية .

الى غير ذلك ، مما يؤكد رغبة الميثاق الى التأكيد  
على الثورة وجعلها الطريق الذي يجب اتباعه .

حتى ان الرئيس عبد الناصر ، بعد أن اعلن في احدى  
خطبه الاخيرة ايام انعقاد لجنة تحرير فلسطين في شهر  
ايار الماضي ١٩٦٥ بان القتال غير ممكن في الوقت الحاضر  
لائتقاد فلسطين ، نادى انه ليس من وسيلة لائتقاد فلسطين  
واستعادتها الا بالثورة العربية الشاملة . وكان اكد من قبل

يوم ٢٣ تشرين الاول ١٩٦٣ بالسويس عندما خاطب جنوده  
العائدين من اليمن : « ان سلامة الثورة العربية لا تتجزأ » .  
وسنعود الى هذا المبدأ الثوري في فصل خاص .

٢ - ورأى ماركس في ميثاقه «حتمية الحل الاشتراكي»  
واعادة تنظيم الروابط الاقتصادية والاجتماعية حسب الطابع  
الاشتراكي وذلك بانتزاع السلطة من يد البورجوازيين ،  
ومصير ملكية الارض ووسائل الانتاج للدولة . الى غير  
ذلك .

ونجد الميثاق المصري يخص الباب السادس منه لهذا  
باسم « حتمية الحل الاشتراكي » ويقول :

« ان الحل الاشتراكي لمشكلة التخلف  
الاقتصادي والاجتماعي في مصر - وصولا ثوريا الى  
التقدم - لم يكن افتراضيا على الانتقاء الاختياري ،  
وإنما كان الحل الاشتراكي حتمية تاريخية فرضها  
الواقع ، وفرضتها الامال العريضة « للجماهير » -  
ص ٧١ .

٣ - وأكد ماركس ان الصراع الطبقي هو لب التاريخ  
البشري ، وان التاريخ سجل لصراع الطبقات ، وان هذا

الصراع لا بد منه . لأنه طبيعي ، والتفسير في المجتمع  
هو نتيجة الصراع الطبقي .

ونرى الميثاق يشير الى : « ان الصراع الحتمي  
والطبيعي بين الطبقات لا يمكن تجاهله او انكاره »

— ص ٦٣ .

وقد كانت الثورة السوفياتية تردد دائما عبارات  
الصراع الطبقي . فحتمية الصراع بين الطبقات هو شيء  
ماركسي ، كما ان اعطاء الصراع الطبقي الشكل الطبيعي  
هو مفهوم ماركسي .

صحيح ان الميثاق المصري والرئيس عبدالناصر يشيران  
الى هذا الصراع الطبقي ليس صراعا دمويا . لكنهما يقران  
مبدأ الصراع نفسه . وقد فسر « برتون » الصراع الطبقي  
في كتابه « الثورة » فقال : هو العداوات التي يغذيها  
الحقد والحسد واللؤم بين جماعات تربطها معا في معظمها  
مصالح اقتصادية ، وتراث اجتماعي وفكري مشترك —  
الثورة ، ص ٢٩٦ .

٤ — ونادى ماركس بإلغاء ملكية الارض وجعلها  
للدولة .

ونجد القوانين الاشتراكية في مصر تحدد الملكية اولا  
بقدر مئتي فدان (١) ، ثم نراها تنزل هذا القدر الى مئة  
فدان (٢) ، وليس فيها ما يشير الى أن التحديد قد وقف  
عند هذا الحد .

٥ - ونادى ماركس بالاستيلاء على وسائل الانتاج .  
ويقول الميثاق المصري : « ان هذه الثورة  
الاصيلة هي التي مكنت الشعب المصري ، وهو ينتجه  
بكل جهوده الى الانتاج ، ان يتأكد اولا من سيطرته  
الكاملة على كل ادوات الانتاج » - ص ١٢ .

وقد جاءت القوانين الاشتراكية تؤمم المصانع ووسائل  
الانتاج فعلا . وجاء في كتاب «البناء الاشتراكي» لصبري  
ابو المجد ، الذي اصدرته مؤسسة حكومية في القاهرة ما  
يلي :

« ان الخطوط الرئيسية لاشتراكيتنا العربية هي

---

(١) قانون الاصلاح الزراعي في ٩ ايلول ١٩٥٢ . جعل المائتي فدان لكل  
مالك

(٢) في القانون رقم ١٢٧/١٩٦١ . جعل المائة فدان للعائلة الواحدة  
المكونة من رب العائلة وزوجته واولاده القصر ، ثم القانون ١٢٨ الذي خفض  
الى النصف ما لم يؤد من ثمن الارض الموزعة .

ان تؤمن بحق الدولة الصريح الواضح في : تملك وسائل الانتاج وتأميم مصادر الثروة الطبيعية والاشراف الكامل الشامل على الاقتصاد والثقافة »

— ص ١٢ •

٦ — ونادى ماركس بالقضاء على سيطرة رأس المال .  
ونجد في الميثاق تأييد ذلك ، كما نجد أن المبدأ الثالث من مبادئ الثورة يقول :

« القضاء على الاحتكار ، وسيطرة رأس المال على الحكم • »

٧ — وهاجم ماركس الاقطاع والاحتكار والبورجوازية •

ونجد في الميثاق ، هجوما وتأكيذا للقضاء على هذه « الأعداء » اعداء الشعب ، هجوما على الاقطاع « المستبد بالارض وتقرير القضاء عليه » ، وهجوما على الاحتكار والاستغلال وسيطرة رأس المال ، وهجوما على الرجعية ( التي حلت محل « البرجوازية » في بيانات ماركس والشيوعيين ) • وفعلا قامت الحكومة المصرية بسلسلة من التدابير الاشتراكية للتمصير ، واقامة قطاع اشتراكي في



الصناعة حتى لا يسيطر رأس المال ولا الاحتكار ، ولا  
الاستغلال •

٨ - وبينما نجد ماركس يقرر أن  
على الحركة العمالية ان تكون على استعداد للقضاء على  
البورجوازية بالقوة، اذ ان البورجوازية لن تتنازل باختيارها  
عن السلطة الحكومية ، نجد الميثاق يقول :

« لقد اثبتت التجربة التي صاحبت بدء العمل  
الثوري المنظم انه من المحتم ان تأخذ الثورة على  
عاتقها تصفية ( الرجعية ) •

- وهذه الكلمة حلت محل البورجوازية عند  
ماركس - ، وتجريدها من جميع اسلحتها ، ومنعها  
من اي محاولة للعودة الى السيطرة على الحكم »  
- ص ٦٣ •

٩ - ويجدر بنا ان نشير ايضا الى ان ماركس نادى  
بتأميم وسائل النقل والمواصلات قبل كل شيء •

ونجد ان القوانين الاشتراكية في مصر الصادرة في  
تموز ١٩٦١ امتت قبل كل شيء وسائل النقل والمواصلات •  
ان المضي في سرد هذه الموافقات بين ميثاق ماركس ،

وبين مباديء او دعائم الميثاق المصري لا ينتهي . فمما لا شك فيه ان الميثاق المصري نظر قبل كل شيء الى « الاشتراكية العلمية » ، ومنها استقى .

وبذلك يصعب القول بأن اشتراكية الميثاق المصري ليست « الاشتراكية العلمية » ، التي أتى بها «ماركس» .  
واذا اصرروا على جعلها عربية ، فتكون « عربية المكان » ، لكنها بلا شك ماركسية الاصل .

## الفصل الثالث

# مَنْ يُؤْمِنُ بِالْإِشْتِرَاقِيَّةِ

الاشتراكية التي رأينا معناها وأهدافها وطرقها في  
الفصلين الماضيين ، من هم الذين يؤمنون بها في البلاد  
العربية وفي مصر ؟

لنعد دائما الى اقوال الرئيس عبد الناصر ، رائد  
الاشتراكية في البلاد العربية ، والى الميثاق •

يقول الرئيس في كتاب اسمه «على طريق الاشتراكية»  
صدر وعليه اسمه : « لقد اختار الشعب في مصر  
الاشتراكية ، وكى يصل الى الاشتراكية كان لا بد من  
الثورة » - ص ٤٧ •

ونجد الميثاق يتحدث عن الحل الاشتراكي وحميته  
في مصر فيقول : « وانما كان الحل الاشتراكي حتمية  
تاريخية فرضها الواقع ، وفرضتها الآمال العريضة  
للجماهير » - ص ٧١ •

وهذين الاستشهادين يدلان دلالة واضحة على ان  
الذي اختار الاشتراكية في مصر هو الشعب  
وان الاشتراكية فرضتها الامال العريضة للجماهير .  
ولنا ان تتساءل اذا كان حقا هو الشعب المصري الذي  
اختار الحل الاشتراكي ، ام انه فرض عليه هذا الحل  
الاشتراكي .

ان « الاختيار » يدل على « حرية الارادة » ، ويدل  
على « حرية الفكر والرأي » . فهل كان الشعب المصري ،  
منذ قيام ثورة ١٩٥٢ حر الارادة ، حر التفكير ، حر  
الرأي ؟

والآمال العريضة للجماهير متى ظهرت ، وما هو  
مدى عرضها ، ومن الذي عبر عنها ؟

أهي حقا آمال جماهير ، أم مطامح فئة ثائرة ؟  
أليس من الواقع الصحيح ، الظاهر ظهور الشمس أن  
يقال : « لقد فرض على الشعب الحل الاشتراكي ، وكي  
نصل الى الاشتراكية كان لا بد من الثورة . »

هل اختار الاشتراكية ، وهي على ما وصفناها ،

صاحب الارض، وصاحب المال، وهم من الشعب، ويعرفون  
ان الاشتراكية ستذهب بالارض والمال ؟

هل اختار الاشتراكية الفقير الأمي، والفلاح الجاهل،  
وهما لا يدريان معنى الاشتراكية ، وغالبية المصريين منهم ؟

وهل اختار الاشتراكية العلماء ورجال الدين ، وهم  
يعرفون ان ماركس ملحد لا يؤمن بما يؤمنون ويدينون به؟

اذن لم يكن الشعب كله هو الذي اختار الاشتراكية،  
ولم تكن الآمال عريضة كما وصفها الميثاق .

ولئن كان الامر على ما ذكره الميثاق فلماذا يخطب  
الرئيس نفسه في رؤساء تحرير الصحف بعد تأميمها ويقول:  
« يجب ان تكون صحافتنا تعمل فعلا على جذب الناس  
واشراكهم في المجتمع الاشتراكي » . ( البناء الاشتراكي  
لصبري ابو المجد ، ص ٢٨٥ )

وارجو أن ينتبه القاريء الى لفظ «جذب» . فالجذب  
يكون للشيء البعيد ، او للشيء النافر منك ، فأنت  
تستميله وتجذبه اليك . لكن ما دام الشعب هو الذي اختار  
الحل الاشتراكي فلماذا تريد أن تجذبه اليه ؟

ولنترك الميثاق ، ولنأت الى أحد الكتب الرسمية  
التي تصدرها « الدار القومية الحكومية » ، لنرى لونا  
اعرض من التضليل .

هذا الكتاب اسمه « في التطبيق الاشتراكي » ،  
ومؤلفه هو الاستاذ مصطفى المستكاوي . وقد تكلم فيه  
على تطبيق الاشتراكية في مصر ، وجاء فيه ما يلي :  
« الاشتراكية هي مسألة عقيدة اعتنقها الشعب العربي كله  
من حدود ايران في الشرق حتى مشارف المغرب على المحيط  
الاطلسي .

الاشتراكية فكرة تعمقت في عقل المواطن العربي .  
مسألة روح حية سرت في جسده ، مسألة ايمان دخل  
قلبه ، مسألة ثورة اعتملت في نفسه » - ص ٢٩ .

مثل هذا الكلام هو التضليل بعينه :

فلاشترائية لم يعتنقها الشعب العربي كله من حدود  
ايران الى المحيط . وهذا شيء لا يحتاج الى دليل ، لانه  
واضح مثل النهار .

وهي ليست بالفكرة التي تعمقت - على حد قوله -

في عقل المواطن العربي ، ولا روحا سرت في جسده ، ولا  
ايمانا دخل قلبه .

فلو كان الامر كذلك فعلا ، لما احتاج المستكاوي أن  
يقوله ، ولما كان هناك صراع ظاهر وباطن بين الاقلية  
الاشتراكية والجماهير غير الاشتراكية .

ولما كان هذا الحكم العسكري ، في كل بلد اختار  
الاشتراكية وفرضها بالقوة .

ولما كانت الدبابات ، والاستخبارات ، والسجون ،  
والحرس الخاص .

لو كانت الاشتراكية فكرة وروحا وايمانا ، لما تدمر  
الذين فرضت عليهم ، ولما فروا منها او أرادوا وحلموا  
بالخروج من سجنها المرعب ، لينقذوا أنفسهم من القلق  
والجوع والارهاب الخفي .

الصحيح ان الشعب لم يختار الاشتراكية ولم يفهمها ،  
والدليل ان المستكاوي نفسه يقول : « بصراحة اقول :  
اننا في حاجة الى ادراك الفهم لمعنى الاشتراكية » .

ص ٤٢

وهكذا ناقض نفسه بنفسه . فكيف يختار الشعب  
شيئا لم يعرفه ولم يفهم معناه ؟



## الفصل الرابع

# التضليل الإشتراكي باسم الدين

لم تستطع الاشتراكية ان تغزو قلوب الناس عامة في مصر ، ولا في أي قطر عربي فرضت عليه . ولم يتبعها الا فئة قليلة راحت تتكلم باسم الشعب ، وتفرض عليه ما تريد بالقوة ، ارضاء لمطامح ، واندفاعا بعقد نفسية تفلقها .

ولعل كراهية الناس للاشتراكية يعود الى الدين الاسلامي نفسه ، الى جانب ما عرف عنها من انها تجلب الفقر والبلاء والخراب والدمار ، مما رآه الناس او سمعوا به في البلاد الاوروبية التي فرضت الاشتراكية الماركسية عليها .

فلا يجهل أحد أبدا ان الاشتراكية الماركسية لا تؤمن بالدين ولا بالله . والبلاد العربية ، رغم المباديء الجديدة التي وردت اليها من الغرب ، ما تزال مؤمنة بالله ، متمسكة بالدين . وان كان الكثيرون لا يقومون بفروض

الدين نفسه ، لكن سلطان الدين على النفوس قوي وعميق ، وهو سلطان مازال يعمل في النفوس ويوجهها منذ مئات ومئات من السنين . لذلك كان الدين عائقا شديدا وصعبا دون انتشار المبادئ الاشتراكية وقبولها .

يقول الدكتور عصمت سيف الدولة في كتابه «اسس الاشتراكية العربية» :

« فالدين جزء من تكوين الامة العربية بحكم انها تكونت أمة في ظل الحضارة الاسلامية . ولم يكن قيمة مضافة الى وجودها القومي بعد أن اكتمل ، بل اكتمل وجودها القومي به ، وذلك مميز للامة العربية عن كثير من الامم الاخرى ، بحيث يعتبر الاسلام بالنسبة الى الامة العربية أكثر من مجرد دين ، اذ هو جزء من نسيج قوميتها . ولما كانت الماركسية ملحدة ، فقد كان الدين حصانة للجماهير ضد مغرياتهما ، ومبررا كافيا لرفضها . ولم تكن ثقة الماركسيين ( العرب ) بنظريتهم كافية لتحدي الجماهير العربية ، فقام حاجز لم تستطع الماركسية أن تتخطاه لتصبح منهج المستقبل العربي . ولم تستطع الماركسية المتطورة ، ان تتخطى ذلك الحاجز ، لان أقصى تطور أصابها في مسألة الدين أن

تجاهلته ، والتجاهل قد يجدي في المجتمعات التي يعتبر الدين اضافة الى وجودها كالامم الاوروبية ، أما عندما يكون الدين جزءا من وجود الامة ذاتها ، كما هو الحال بالنسبة الى الامة العربية ، فان تجاهله لا يجدي شيئا .  
لانه عندئذ عنصر ايجابي من عناصر القومية لا بد من مواجهته ايجابيا . لذلك فان الذين لا ينتبهون للاسلام ، أو يتجاهلونه ، أيا كان منطلقهم العقائدي أو الفكري ، سيرتطمون به عند اول احتكاك بالامة العربية « - ص ٦ .

وهكذا لم يتجاهل الحاكمون في مصر الدين ، لان من الصعب تجاهله ، وانما ارادوا ان يجابهوه بشكل ايجابي لا سلبي . فماذا فعلوا ؟

لقد لجأ موجهو الاشتراكية في مصر الى اتخاذ الدين الاسلامي نفسه طريقا الى اشتراكيتهم التي صد عنها الناس ، وجعلوه مَنفَذاً يدخلون منه الى قلوب العوام .

وكان الطريق الى ما أرادوه ان استخدموا أقلام بعض الكتاب تبث في المقالات والمؤلفات التي تصدرها الحكومة ، أو تصدر باشرافها ، ان الاسلام هو دين

اشتراكي ، وان الاشتراكية لا تخالف الدين ، بل انها مستمدة من الدين الاسلامي . وذهبت الى أبعد من ذلك فزعمت ان اشتراكيتهم تؤمن بالرسالات السماوية كلها ، بل انها مستمدة منها كلها ، ولولا خوفهم لقالوا اعظم من هذا .

كل ذلك حتى يصدق الرجل العامي ، والرجل الذي لم يعرف ما هي الاشتراكية الماركسية ، ولا درس مبادئها ، وعرفها من أصولها ، ان ما يدعون اليه ويسمونه اشتراكية شيء لا خوف منه ، ولا ضرر فيه ، ما دام هو من الدين ، بل انه ضروري ، ولا شيء غيره يجب اتباعه .

ولقد رأينا ان الرئيس عبد الناصر نفسه يصرح ان الاسلام دين اشتراكي ، وانه كان اول صيحة اشتراكية خرجت في القرون الوسطى . وحتى انه استشهد مرة من المرات في احدى خطبه بشعر شوقي عن الرسول محمد ، صلوات الله عليه ، عندما قال :

الاشتراكيون أنت إمامهم

لولا دعاوى القوم والغلو .

فصفق له المصفقون ، دون ان يفهموا ما اشار اليه

شوقي في نصف البيت الثاني . فشوقي لم يقصد مطلقاً الى الاشتراكية الماركسية التي تطبق مبادئها في مصر ، وقد كان الرجل مسلماً مؤمناً ، واسلامياته في شعره كثيرة ، ونزغته فيها واضحة صريحة . والشطر الثاني من البيت يشير فيه الى الماركسيين والشيوعيين ، والبيت الذي يلي هذا البيت هو هجاء صريح للاشتراكين ، وفيه يقول :

داوَيْتَ مُتِّدًا ، وداووا طَفْرَةَ  
وأخفُّ من بعضِ الدوائِ الداءُ .

وليس أكثر من هذه المقالات التي تظهر في صحف مصر ومجلاتها المختلفة ، او الكتب التي تنزع هذا المنزع ، وتهدف الى هذه الغاية . وقد اشتدت هذه النغمات في النصف الاول من عام ١٩٦٥ ، وظهرت خاصة في المجلات ذات الصلة بالأوساط الدينية بمصر ، وأذكر منها مجلة « منبر الاسلام ، ومجلة « الرسالة » ، او في المجلات الشيوعية الماركسية الصريحة مثل مجلة « الكاتب » و « الطليعة » .

ان سرد كل ما ورد في هذه المجلات من مقالات يقصد تشويه الدين ، أو تشويق الناس بالتضليل ، شيء طويل ، قد يمله القاريء ، وقد يتعبه ، لذلك سأكتفي

بتقديم امودجات من هذه المقالات ، ليرى القاريء  
بوضوح الهدف الذي يسعون اليه . وأرجو أن يحتمل  
القاريء ما في هذه الشواهد من تهافت وبطلان وكذب  
أحيانا .

ففي العدد الصادر في يونيه ( حزيران ) ١٩٦٥ ، من  
مجلة « منبر الاسلام » ، وهي تُعرّف نفسها انها « مجلة  
الثقافة الاسلامية » ، ويصدرها « المجلس الاعلى للشئون  
الاسلامية » ، أعني بهذا أنها مجلة رسمية ، أقول في  
هذا العدد نجد مقالات هذا عنوانها :

- دعوة الميثاق الوطني من دعوة الاسلام
- الاصول الاسلامية لاشتراكتنا العربية
- الاشتراكية تنبع من أعماق ايماننا
- القرآن صنع جماعة اشتراكية .

ان هذه العنوانات لا تحتاج الى تعليق ، فالتضليل  
يصرخ منها ، والافتراء على الحقيقة يشع فيها . فأية  
اشتراكية هذه تنبع من أيماننا ؟ ومتى كانت دعوة الميثاق  
من دعوة الاسلام ؟

وانا اسوق للقاريء فقرات من هذه المقالات ، حتى  
يرى المنطق الذي فيها ، والهدف الذي تهدف اليه .

يقول صاحب مقال : « الاشتراكية تنبع من أعماق  
إيماننا » : « ان الاشتراكية هي أسهل المبادئ تفهما ،  
وأشدها تغلغلا في قلوب الناس • اذ هي استمسكت  
بمبادئ الدين الحنيف من حب ومساواة وزكاة • ولما  
كانت الأرزاق تصيب الناس نتيجة لعملهم ، ونتيجة لمبدأ  
تكافؤ الفرص ، ولما كان الدين يحض على هذه المبادئ  
جميعا فالاشتراكية تتصل أشد الاتصال بإيمان الناس بدينهم  
وتمسكهم بشريعته » - ص ٧٤ •

فانظر كيف دس الكاتب النظرية الماركسية في الرزق  
وتكافؤ الفرص في كلامه ، على انها من الدين ، وجعل  
الاشتراكية متصلة بالدين •

ويقول الكاتب نفسه : « وجدت اشتراكيتنا بيئة  
صالحة في المجتمع العربي ، وذلك بفضل الدين السمح  
الكريم ، حتى انها قد بسطت وأصلحت من كثير من  
القواعد الاشتراكية الدولية ( كذا ) ، وهذبت من كثير من  
انحرافات المعروفة ، وأدخلت من المبادئ الانسانية عليها  
مما يتدارسه الآن كثير من الجماعات والامم لاقتباس ما  
هو صالح لها منها » •

ويذكر الكاتب امثلة عما تتدارسه الامم والجماعات  
من الاشتراكية المصرية فيقول :

« مثل تلك الثورة الاجتماعية الشاملة الكريمة ،  
ومثل عدالة تمثيل جميع الفئات العاملة في مجالس  
الشورى ، واشتراك العمال في ارباح ما ينتجونه .  
كل ذلك بفضل سماحة عقيدتنا وديننا الحنيف ،  
فكما ان الاسلام هو دين الفطرة ، وشريعته عنوان  
العدل والوفاء فان اشتراكيتنا العربية تتمشى مع هذا  
الدين » ٠ - ص ٧٣

فما علاقة الدين الحنيف « بالثورة الاجتماعية الشاملة  
الكريمة » ؟ وما علاقته باشتراك العمال في ارباح ما  
ينتجون ؟ ولماذا ادخلوا سماحة الدين والعقيدة عند ذكر  
« اشتراكيتنا العربية » التي « تتمشى مع هذا الدين » ؟  
فهذا نموذج من هذه المجلة . ومن شاء فليرجع الى  
التضليل في المقالات الاخرى

ولنتقل الى مجلة « الرسالة » ، وهي مجلة معروفة  
مشهورة لها فضل على الادب في البلاد العربية كلها ،  
في عهدها الحر . فهذا احمد حسن الزيات نفسه ،



صاحبها ، والكاتب الكبير الذي طبع الادب المعاصر بطابع خاص عرف به ، والذي كان له في البلاد العربية مدرسة أدبية اقتفت آثاره ، هذا الرجل لم يسلم من معاشاة الحكام ، فراح يعزف معهم نغمات الاشتراكية ويربطها بالدين ، فهو يقول :

« الاشتراكية من كمال الدين • ومن كمال

الايمان ان تحب لاختك ما تحب لنفسك »

فانظر كيف جعل الدين اذا كمل هو الاشتراكية ...

ثم يقول :

« هذه الحكمة النبوية ( أي ان تحب لاختك )

تضمنت المعاني الكثيرة المختلفة التي تدخل في بنية المجتمع المثالي الذي يأمر به الاسلام وتدعو  
الاشتراكية » •

فهنا جعل الاسلام كالاشرائية تماما • ثم يضيف :

« تضمنت من هذه المعاني معنيين هما الاخوة

والمحبة - فالاخوة صفة الايمان ، والمحبة صفة

الانسان • ولن يكون الاخاء الا مع المساواة ،

والتكافل والعدل ولن يكون الحب الا مع الالفه  
والنصفه والايشار وهذه هي الخلال التي تميز  
الاشتراكية من كل نظام » .

وهذا كلام أقرب الى الشعر منه الى الحقيقة . ظاهرة  
حق وما هدف اليه باطل .

ثم يمضي الزيات ، فيضع اسئلة يوجهها الى القاريء ،  
ويقول :

« هل انت قوي الرجاء في ان النظام الاشتراكي  
مدوم ما دامت الامة ، ويقوم في البلاد العربية ما  
دامت العروبة ، ويقيه الله شر الرجعية والرأسمالية  
والكراهية ، حتى يتأصل في الامة ويتوثق فيجري  
في القلوب مجرى الدم ، وفي النفوس مجرى  
العقيدة ؟ »

« اذا كانت اجوبتك عن هذه الاسئلة بالايجاب ،  
كنت اشتراكيا بدمك وعضلك وعصبك وهواك .  
وان كانت اجوبتك عن اكثرها او عن اقلها بالنفي  
فأنت اشتراكي مغلق فبح تحتاج الى تفتح ونضج . »  
- ( الرسالة ، العدد ١١٠٣ ، ٤ مارس ١٩٦٥ -  
الاشتراكية حب )

كان الاجدر بالاستاذ الزيأت ان يعيد ما نشره في  
مارس عام ١٩٥٠ عن الشيوعية ، وان يردد الان قوله :  
مستعيضا عن كلمة « الشيوعية » بالاشتراكية ويقول :  
« ان الشيوعية لا تملك الناس أرضا ، ولا توسع  
عليهم رزقا ، ولا تهىء لهم حرية » •

« ان الشيوعية تأخذ لنفسها لا للناس ، وتدعو  
الى باطلها لا الى الحق ، انها لا تسوي بين الخلق  
في الغنى والحرية وانما تسوي بينهم في الفقر  
والعبودية » •

« انها تجعل الغني فقيرا بانتزاع ما يملك ، ولا  
تجعل الفقير غنيا بامتلاك ما يستأجر » •

تصادر الارضين لتكون خالصة لها من دون  
المواطنين ، ثم تستغلها بتسخير الايدي العاملة • فلا  
تعطي الزارع غير اجرتة ، ولا تؤجره الا على حسب  
قدرته • ، - ( الزيأت ، الشيوعية على المصطبة ،  
الرسالة ، ٢٧ مارس ١٩٥٠ )

« ليست الشيوعية عقيدة تقوم على الخير ، ولا  
طريقة تعتمد على الحق ، ولا رسالة تؤدي

بالمعروف • « - ( الزيات ، الإسلام والمذاهب  
الهدامة ١٣ مارس ١٩٥٠ )

وكان الاجدر به أن يعيد الان نشر ما كتبه صديقه  
الكبير الاستاذ عباس محمود العقاد عن الاشتراكية  
الماركسية ، والقائمين بها ، والداعين اليها ، وبيان زيفها ،  
وتضليلها ، وكذبها ، وفظائعها في هدم المجتمع وتغييره ،  
وهدم الدين والهزء به ، واستباحة حرمة كل ما يتصل  
الى الاخلاق والعدل بسبب •

نعم كان الاجدر به أن يضيف الى مقالاته عن  
المذاهب الهدامة ما كتبه العقاد ايضا عن « أفيون الشعب :  
المذاهب الهدامة » (١)

• عندئذ يكون كلامه أكثر مطابقة لمقتضى الحال •

ان التزلف لهؤلاء الاشتراكيين لايفيد، ونحن واثقون  
أنهم لن يتأخروا عن القضاء على مجلة الرسالة التي تذود  
عنهم الان عندما يرون أنهم ليسوا بحاجة اليها •

---

(١) نوصى القارىء بالرجوع الى كتاب العقاد : «أفيون الشعوب :  
المذاهب الهدامة» فهو كتاب منطقي موضوعي جيد •

ونمضي في هذه المقالات التي تكتب للدخول الى  
الاشتراكية باسم الدين ، فنجد استاذا اسمه محمد عبد الله  
العربي يكتب مقالا في « الرسالة » عنوانه :

« الاساس الروحي لاشتراكتنا العربية » ، فيقرر أن  
« اشتراكتهم » ليست ماركسية • لماذا ؟ لان الميثاق  
سماها « الاشتراكية العلمية » ، وان « قائد الثورة  
أكد أن اشتراكتنا العربية انما تستمد اصولها من  
تعاليم تراثنا الروحي الذي نزلت به الاديان السماوية  
في أرضنا العربية • »

• وهذا غير صحيح •

لان تسمية الميثاق للاشتركية بالاشتركية العلمية لا  
ينفي عنها صفة الماركسية •

ولانه ، لا الميثاق ، ولا الرئيس عبد الناصر قالوا ان  
الميثاق مستمد من تعاليم تراثنا الروحي التي نزلت به  
الاديان • - اي من الاسلام والمسيحية واليهودية «  
ويتابع الكاتب كلامه فيقول :

« وأكد - أي قائد الثورة - ان اشتراكتنا

العربية اشتراكية علمية ، لانها انما تهتدي في تطبيقاتها بالعلم . وطلب العلم والاهتداء بالعلم فريضة مقدسة ، بحكم تعاليم تراثنا الروحي « وقل رب زدني علما » و « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

حقا انه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون !

ومن الواضح ، بعد ما ذكرنا ، أن الكاتب ، وهو استاذ في جامعة القاهرة ، لا يعرف معنى « الاشتراكية العلمية » والا لما ربط بينه وبين تراثنا الروحي ، وطلب العلم الذي هو فريضة « ورب زدني علما » .

ثم لا يتورع عن ان يقول : « ان كل خطوة

من خطوات اشتراكيتنا العربية ليست الا ترجمة امينة لجانب من تعاليم تراثنا الروحي ، بل اذا اردنا الدقة في التعبير ، قلنا انها انما قاربت تحقيق هذا التعليم ! » - (الرسالة -

العدد ١١٠٣ ، ٤ مارس ١٩٦٥ )

ولا يمكن ان نجد كلاما ، يسيء الى الاشتراكية المصرية ، كهذا الكلام ، في كذب التأويل او تشويه الحقيقة .

وينكر كاتب آخر أن تكون الاشتراكية شيئاً  
مستورداً ، أو ماركسياً . بل هي امر بديهي ، اسلامي ،  
فيقول :

« لذا فان البساطة التي تتم بها الاجراءات الاشتراكية  
عندنا تثير دهشة وريبة العقلية الغربية ، والعقلية المتأثرة  
بالعقلية الغربية . فما تكاد دولة عربية تتحرر من النفوذ  
الغربي حتى ترى أن الاشتراكية قضية بديهية »

وبعد كلام طويل من هذا الباب يقول :  
« ... ومن هنا كانت اشتراكتنا ليست ماركسية ،  
لأننا اكبر من ماركس ! » - ( محمد جلال كشك ، « لماذا  
ليست ماركسية » ، الرسالة ١١٠٣ ص ٤٣ )

وما ندري لماذا تثير الاجراءات الاشتراكية الدهشة  
وطريقها معروف . حكم عسكري ، يتبعه تأميم ومصادرة ،  
وليس في البلاد العربية المتحررة دولة واحدة رأت  
الاشتراكية قضية بديهية ، او رضيت بها ، بل فرضت عليها  
فرضا ، واجبرت عليها بالعنف والتسلط . فهل ارتضت  
مصر الاشتراكية باختيارها ، أم هل رضيت بها سورية ،  
أم الجزائر ؟ أم العراق ؟ فكيف يجعل الامر الذي يفرض  
فرضا شيئاً بديهيًا ؟

وفي سلسلة هذه المغالطات ، وهذا التضليل لا بد  
أن نذكر ما قاله كاتب آخر ، أراد أن يقرب الاشتراكية الى  
النفوس على حساب الشيوعية فقال :

« ان الشيوعي يرفض وجود الدين ، ويحارب  
العاطفة الدينية . بينما الاشتراكي يعترف بالدين  
ويحترم الحرية الدينية » - ( احمد بهاء الدين ،  
الرسالة ، العدد ٨٨ ، ص ٣٥ ، ١٩٦٥ ) .

وهذه نعمة جديدة تؤيد النعمات السابقة . فكأنه  
يقول : « لا تخافوا من اشتراكيتنا ، انها تعترف بالدين .  
أما الشيوعية فهي الخطر ! » مع أنه لا فرق بين الاشتراكية  
العلمية والشيوعية . وما الشيوعية الا آخر المراحل التي  
تبلغها الاشتراكية . والاشتراكي والشيوعي يستمدان  
نهجها من بيان ماركس ، حتى ان الاتحاد السوفياتي نهج  
في ايام خروتشوف على تشجيع اية ثورة اشتراكية ،  
باعتبارها ستؤدي حتما الى الشيوعية . كما نهج على  
استبدال كلمة الشيوعية بالاشتراكية . فكلام احمد بهاء  
الدين تضليل واضح . ويجب ان لا ننسى ان الحزب  
الشيوعي المصري اذاب نفسه في الاتحاد الاشتراكي باعتبار  
ان اهدافها واحدة .



ونجد كاتباً آخر يجعل الاشتراكية في الإسلام «حقيقة أزلية» ، ففي العدد السادس من مجلة « الطليعة » الاشتراكية وهي « طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر » ، مقال عنوانه « المجتمع الاشتراكي هو المجتمع الإنساني في مفهوم الإسلام » وفيه يذكر الكاتب :

« أما الاشتراكية فإنها في الإسلام ليست من قبيل المبادئ والنظريات التي يجوز أن يخالف بعضها بعضاً ، ذهاباً مع حرية الفكر فيما يرى ويعتقد ، بل هي حقيقة أزلية ( كذا ) من الحقائق التي لا مجال فيها لاختلاف الفكر ، إلا إذا طرأ على الفكر لوثة من جنون أو طغيان ، فذهب يدعي لنفسه فيها ما لا تؤيده فيها طبيعة الواقع » •

ثم راح الكاتب يفسر الإسلام على ضوء التعاليم الماركسية ويطبقها عليه ، ويحمل النصوص ما لا تحمل من معنى •

فمن هذه الأمثلة التي قدمناها ، وهناك كثير مثلها ، يرى القاريء أن الهدف الذي يمشون نحوه ويدفعون الناس إليه هو :

» ايها الجماهير ان الاسلام هو الاشتراكية التي  
يدعون اليها . «

وذلك بوسائل مختلفة ووجوه متعددة . لقد وجدوا  
أن من الصعب ، في هذه المرحلة ، هدم الدين ، او  
تجاهله ، لذلك لجأوا الى دس السم بالعسل ، وخط  
الاشتراكية العلمية بالدين ، حتى اذا تمكنت هذه من  
نفوسهم فالزمن الطويل كفيلا بمحو اثر الدين الحق من  
النفوس .

## - ٢ -

لكن هذا التضليل الذي رأيناه في المقالات ، نجده  
ايضا في عدد كبير من الكتب الرسمية التي تصدرها الدار  
القومية للطباعة والنشر وغيرها ، والتي تهدف ايضا الى  
ايهام الناس ان الاشتراكية هي الدين .

وسأذكر من هذه الكتب بعضها

فالكتاب الاول كتاب اسمه :

« ام الاشتراكية خديجة بنت خويلد » .

ولا اعتقد ان القاريء ، مهما كان بعيدا عن الثقافة  
والفهم ، يصدق أن خديجة بنت خويلد أم المؤمنين ، كانت  
اما للاشترائية .

وقد تساءلت : أي لون او نوع من الاشتراكية  
بمعناها الذي نعرفه كانت خديجة مبتكرة له ، وأما له ؟  
وقرأت الكتاب • فوجدت المؤلف يفسر حوادث  
التاريخ على هواه ، دون دليل ، ويقحم لفظ الاشتراكية  
في كل شيء ، وكل مكان •

لقد اتخذ المؤلف اساسا لاشتراكية خديجة أنها كانت  
ترسل بعض الشباب في تجارتها لقاء اجر او ربح - ولم  
يذكر منهم احدا سوى زوجها القادم محمد - فجعل عملها  
هذا ، « في مضمونه ومفهومه ما نسميه الآن : الاشتراكية  
التعاونية » ، وراح يستنتج الاستنتاجات العجيبة ويقول :

« وكان ما قامت به خديجة لم يكن الا  
ارهاصات بقرب قيام دولة الاشتراكية العادلة في بلاد  
العرب ، الا وهي دولة الاسلام • »

ويقول : « هكذا قبل ان يعرف العالم الاشتراكية  
عرفها العرب ، وطبقوها كقطرة سليمة بعثت من اعماق  
قلب طاهر من نساء العرب • »

« فاذا ما تنازع العالم الان انظمة متعددة ،  
ومذاهب مختلفة ، فلا يضيرنا ذلك ، ما دما نعرف

ان طريقنا السليم الذي سار عليه اباؤنا ، وكان ينبع  
من ضمائرنا ، معروف لدينا لا نجهله . »

ويقول : « وهكذا كانت اشتراكتنا التعاونية  
مستمدة من واقعنا التاريخي ، ومن نبض قلوبنا  
بالايمان بالكفاية والعدل ، وان اخذت (اي اشتراكية  
مصر) من احدث الاشتراكيات خيرا ، فانما كان ذلك  
تطورا يسير التقدم الانساني في جميع نواحي  
الحياة . كامتلاك الحكومة للمرافق العامة والمؤسسات  
الاتاجية . »

وهكذا بدأ المؤلف بخديجة فألصق بها ما لم تفكر به  
قط ، وانهى بتبرير ما فعلته الحكومة من التأمينات  
المختلفة التي رأيناها في عداد الامور التي وضعها ماركس  
في البيان الشيوعي . وهو بيت القصيد من الكتاب كله .

ويقول المؤلف ايضا : « كادت خديجة تكون  
رائدة النظام الاشتراكي في التنمية الاقتصادية الحق ،  
والاصلاح الاجتماعي السليم ، بما استنبطته من أفكار  
واتجاهات لاستثمار تجارتها ... »

وما أشك أن هذا القول سيجعل رجال الاقتصاد  
الاختصاصيين ينفجرون ضحكا ، لانه كلام عجيب لا يقره

علم ولا تاريخ ولا منطق . فأبي «. تنمية اقتصادية » ، وأي  
اصلاح اجتماعي جاءت بهما السيدة خديجة ؟

وأعفي القاريء من متابعة سرد هذه العبارات ،  
التي لا تنفك تعاد وتذكر . وتؤكد أن خديجة كانت  
« رائدة الاشتراكية » . وليس في عمل خديجة من  
استجارها الرجال او مشاركتهم في الربح أي معنى من  
معاني الاشتراكية بمفهومها الحديث . هذا فضلا عن  
الخلط بالتاريخ ، وتفسيره تفسيراً غير صحيح ، حتى ان  
القاريء ليضحك هزواً بهذه الآراء ، لان فيها استخفافاً  
بالناس ، وطمعاً بكرامتهم ، وتقديم التضليل اليهم بشكل  
تافه وهزيل .

أما الكتاب الثاني الذي اود ذكره فهو كتاب الفه عالم  
أزهري ، وسماه « الدين والميثاق » ، وأراد أن يبرهن  
فيه أن الميثاق قد اهتم بالدين والايمان « وأعطى الجوانب  
الدينية قسطاً ملحوظاً من العناية والرعاية » .

ان اصدار كتاب خاص في هذا الموضوع دليل  
على أن الدار الرسمية التي نشرته تهتم بأسباب الصيغة  
الدينية على الميثاق .

وقد ساق المؤلف من الأدلة على ما ذهب اليه اشياء

كثيرة ، لكنها لا تدل على أن الميثاق قد اهتم بالدين .  
وعندما اذكر الدين افهم منه طبعاً الاسلام . فكيف يكون  
الميثاق قد اهتم بالاسلام او الدين الاسلامي ، ولم يرد ذكره  
في الميثاق مرة واحدة في مجال يفيد أن الاسلام مصدر من  
مصادر تشريعنا ، أو أنه نرجع اليه في تنظيم  
شؤون الحياة ؟

ان الاسلام كما نعلم شريعة كاملة ، وانها تصلح لكل  
زمان ومكان . فهل نجد في الميثاق فصلاً يدل على  
ضرورة صياغة منهج للحياة في هذه البلاد يستخرج من  
شريعة الاسلام الواسعة الشاملة ، ويحل المشكلات التي  
ولدها العصر الحديث ؟

انا لا نجد هذا ، في حين نجد أبواباً وفصولاً  
لحتمية الحل الاشتراكي ، وحتمية الثورة ، والقضاء على  
الاحتكار والاستغلال وسيطرة رأس المال ، وغير ذلك من  
التعابير الماركسية التي لا يراد منها الا القضاء على الملكية  
الخاصة لوسائل الانتاج : الارض ورأس المال والعمل .  
وبالطبع لو أن خديجة ام المؤمنين كانت حية لصادروا  
منها رأس مالها وتجارها الخارجية .

ان الميثاق لم يشر قط الى ضرورة العناية بالاسلام ،  
انه عندما يقول مثلا :

« ان شعبنا يعتقد في رسالة الاديان ، وهو يعيش في  
المنطقة التي هبطت عليها رسالات السماء . »

« ان شعبنا يملك من ايمانه بالله ، وايمانه بنفسه ما  
يمكنه من فرض ارادته على الحياة ، ليصوغها ( أي  
الحياة ) من جديد ، »

بهذا لا يزيد الميثاق عن تقرير الواقع . فالمصريون  
مؤمنون على الغالب . هذا صحيح ، وهم يعيشون في  
منطقة اخرجت الانبياء ، وهذا صحيح ايضا . لكن ذلك  
لا يعني ان الميثاق يدعو الى الاسلام .

حتى الاستشهادات التي يذكرها الميثاق عن « رسالة  
محمد » ، - ولا يسميها الاسلام - انما تشير الى شيء  
تاريخي ماض ، ولا تؤكد أن رسالة محمد ستكون مصدرا  
يهتدي بتعاليمها التشريع الميثاقى الجديد ، فهو يقول :

« وفي اطار التاريخ الاسلامي ، وعلى هدى من  
رسالة محمد ، قام الشعب المصري بأعظم الادوار دفاعا  
عن الحضارة والانسانية »

فهذا تقرير واقع مضى ، وليس فيه ما يدل على عناية  
الميثاق بالدين .

ولقد ذكر المؤلف - من جملة الدلائل التي أتى بها -  
أن كلمة « الايمان » تكرر ذكرها في الميثاق ، واذن  
فالميثاق يهتم بالدين ويرعاه ، ونقل العبارات التالية من  
الميثاق ، وتقرير الميثاق :

« صباح اليوم الثالث والعشرين من يوليو عام  
١٩٥٢ » رفع الشعب المصري رأسه بالايمان والعزة . «

« ان الشعب المصري وجد قيادته المؤمنة الصادقة »

ومثل هذين الشاهدين لا يدل قط على نزعة دينية .  
والايمان هنا كلمة عامة ، والمهم معرفة الايمان بأي  
شيء ، وماذا قصده كاتب النص ؟ فقد تكون قيادة الشعب  
مؤمنة صادقة بالاشتراكية . وهو ما نراه بالواقع ، فلا  
يمكن أن نفترض أو نتخيل انها « مؤمنة بالاسلام » ؟

ومن الأدلة التي ساقها المؤلف على عناية الميثاق بالدين ،  
أن الميثاق « ذكر طائفة من الشواهد التاريخية المحددة  
التي تدل على ان قوة « الايمان الديني في الامة كانت  
الدرع الواقية لها في الازمات . «



وهذه حجة قد تفيد اذا صحت في اظهار قوة الايمان  
عند المصريين لكنها لا تفيد في اظهار رعاية الميثاق للدين .

على أننا رجعنا ايضا الى الميثاق لنرى « طائفة  
الشواهد » هذه . فوجدنا أن هذه الشواهد لا تشير  
قط الى « قوة الايمان الديني » . فهي تقول :

« وقبل ان ينزل ظلام الغزو العثماني على المنطقة  
بأسرها ، كان شعب مصر قد تحمل ببسالة منقطعة النظير  
مسئوليات حاسمة لصالح المنطقة كلها .

وكان قد تحمل المسؤولية المادية والعسكرية في صد  
اولى موجات الاستعمار الاوروبي التي جاءت متسترة وراء  
صليب المسيح ، وهي أبعد ما تكون عن دعوة هذا المعلم  
العظيم .

وكان قد تحمل المسؤولية المادية والعسكرية في رد  
غزوات التتار الذين اجتاحوا سهول الشرق واجتازوا جباله  
حاملين الخراب معهم والدمار .

« ثم كان قد تحمل المسؤولية الادبية في حفظ  
التراث الحضاري العربي وذخائره الحافلة ، وجعل من  
أزهره الشريف حصنا ، للمقاومة ضد عوامل

الضعف والتفتت التي فرضتها الخلافة العثمانية استثمارا  
ورجعية باسم الدين . «

فهذه هي الشواهد . وهي لا تصرح على ان المضرين  
فعلوا هذا دفاعا عن الاسلام كما تقتضي الحقيقة ذكره .

وهذه الفقرات نفسها مملوءة بالخطأ . فليس صحيحا  
ان الشعب المصري هو الذي تحمّل الدفاع عن المنطقة وردّ  
الصليبيين - او ما أسماه الميثاق : صد اولى موجات  
الاستعمار الاوروبي - ، فالذي قام بصد اولى الموجات  
هم الايوبيون . ولم يكن جيشهم مصريا ، بل كان فيه  
الاتراك والاكراد والشاميون . وهذه حقيقة تاريخية  
معروفة .

والعجيب ان الميثاق يسمي الفتح العثماني المسلم  
« غزوا استعماريا » ، ويقول ان الخلافة العثمانية المسلمة  
فرضت عوامل الضعف والتفتت استثمارا ورجعية باسم  
الدين . مع أن العثمانيين يوم فتحهم الشام ومصر كانوا  
مسلمين ، غير غرباء عن الدين . وكانوا اكبر قوة عسكرية  
اسلامية يومئذ . حتى ان المغاربة الذين كانوا في مصر  
ابان الفتح لعثماني رفضوا التجنّد في جيش الماليك  
لقتال العثمانيين المسلمين « لاننا لا نقاتل الا الفرنج »

وقد استطاع الترك المسلمون أن يصدوا الخطر الاوروبي  
عن العالم الاسلامي العربي أربعة قرون - (انظر : الرسالة،  
العدد ٨٣ ، ص ٢٧ ، فبراير ١٩٦٥ ) •

ولم يكن يوم فتح العثمانيون المسلمون الشام ومصر  
تلك المفاهيم الماركسية التي تُسمى كل غزو استعماريًا •

هذا الى اننا اذا مضينا في تطبيق المفاهيم العقائدية  
الجديدة ، والتعابير المذهبية المستحدثة ، على ماضينا ،  
فاننا نجعل تاريخنا ألعوبة ، ونعمل على هدم ديننا وتراثنا •  
واذا قبلنا ما قاله الميثاق عن العثمانيين ، فقياسا  
على ذلك يكون الفتح الاسلامي كله غزوا استعماريًا •  
وسيكون الغزو الناصري ايضا ، بمبادئه المستوحاة من  
الماركسية غزوا استعماريًا ايضا للبلاد التي يحاول السيطرة  
عليها •

وتعقبا على ما قاله الميثاق يقول مؤلف الكتاب  
الازهري : « ثم ما قامت به الامة العربية  
من قضاء على الوباء المهلك الذي تبدى في حملات التتار  
المخربة • ! »

وقد تساءلت أية « أمة عربية » هذه التي قامت  
بالقضاء على التتار ؟ فما كان يومئذ شيء يسمى بالامة

العربية • وانما الذين كانوا هم « المسلمون » ، والمسلمون  
الذين شاركوا في قتال التتار ، كانوا من المماليك الشركاسة  
والصقالبة ، والاكراد ، والاتراك ، والسلاجقة والعرب •

حتى ان الملك المظفر عندما قاتل التتار في « عين  
جالوت » ألقى خوذته عن رأسه وصرخ بأعلى صوته  
« وآاسلاماه » • واعادها ثلاث مرات • فباسم الاسلام  
انكسر التتار • وليست مصر وحدها هي التي ردتهم وردت  
الصليبيين قبلهم ، وانما هم « المسلمون » •

ونعود الى كتاب « الدين والميثاق » فنقول اننا لم  
نجد فيه أي دليل على أن الميثاق يكرم الدين ، أو أنه  
جعل « الدين الاسلامي » منهجا يتبع في الحياة كما جعل  
« الاشتراكية العلمية » منهجا للتقدم ، ولم يذكر الاسلام  
ومبادئه في معرض اعتمادها واتخاذها اصولا لتشريع  
جديد • وهذا ما كان يجب أن يتضمنه بصراحة « ميثاق »  
لبلد اسلامي قبل كل شيء •

اما الصفحات التي تزيد على المئة والثلاثين التي  
يتألف منها الكتاب ، فهي تعليقات ومحاولات ، وتمحلات

تهدف الى الصاق الصفة الدينية بالميثاق ، رغم أن الميثاق بريء من ذلك .

وثمة كتاب ثالث اسمه « الميثاق في ضوء القرآن » أخرجه مكتبة الانجلو بالقاهرة - فهذا الكتاب فيه من التضليل الشيء الكثير . ولم أر كتابا عنوانه بعيد عن مضمونه مثل هذا الكتاب . وقد اراد مؤلفه أن يزعم ، رغما عن كل شيء ، ان فلسفة الميثاق استمدت أصلتها من القرآن الكريم، ومن مأثورات النبي عليه الصلاة والتسليم، ومن واقعنا - أي واقع مصر - المفعم بالقيم الانسانية والروحية .

ولا يحتاج القارئ المثقف الفطن الى طويل من الوقت ليحكم على سذاجة المؤلف . ففي الصفحات الاولى نراه يقول :

« وكُلِّمَّا تعمق الانسان المؤمن في دراسة الميثاق ، وسار متوغلا بين ملامح الانسانية الحقبة التي تناولها كل سطر فيه ، وكل كلمة فيه ( كذا ) ازداد ايمانا باستمداده من ديننا الحنيف » -

ص ٦ .

وتبلغ السذاجة الفكرية ، بل البلاهة ، قمتها في  
قول للمؤلف كهذا :

« وتوخيت ان اجلي المعاني تجلية واضحة  
موجزة ، وان أربط بين هذه الاصول الربانية وبين  
استمرارها المعاصر في ثوب الميثاق - ص ٧ » •

ثم يمضي المؤلف ، ليثبت ، خلال مائة وخمسين  
صفحة ، ان الميثاق مستمد من الدين الاسلامي ، في  
معانيه وكلماته •

وهذا من المضحكات ، ورحم الله المتنبى !  
انه يكفي ان الميثاق صرح بأن « الاشتراكية العلمية »  
- وليس الاسلام - هي المنهج الوحيد للتقدم حتى يتلون  
بلون معروف ، لا يخرج منه الف كتاب من هذه الكتب ،  
أو ألف مقالة من شبيهات المقالات التي نوهنا ببعضها •

وما القصد من نشر المقالات والكتب ، او التشجيع  
على نشرها ، الا الدخول الى قلوب الناس باسم الدين •  
مضللين اياهم ، ليجعلوا الدين والاشتراكية سواء ، ثم  
يقيموا الاشتراكية دينا جديدا يتبعونه •

## الفصل الخامس

# هل تعترف الإشتراكية الماركسيّة بالدين؟

بعد ما مر بك ، ايها القاريء ، من اشارات تزعم ان  
« الميثاق » الاشتراكي يستمد مبادئه من الرسائل  
السماوية .

وبعد أن رأيت كيف يريدون ايهام الناس بأن  
الاشتراكية هي من الاسلام ، او هي الاسلام ، أو أن  
الاسلام دين اشتراكي ،

وبعد أن رأيت المبادئ الاشتراكية التي يدعو اليها  
الميثاق ، تتلاقى مع مبادئ ماركس ، في بيانه الشيوعي ،  
وفي مقالاته وكتبه .

بعد أن رأيت هذا كله ، تعال معي لتساءل : هل

اعترف ماركس ، او الماركسية بالدين ؟

ان ماركس كان ملحدا . وهذا شيء معروف ذكرته كتب الماركسية كلها . ومن هذا المبدأ ، مبدأ الاحاد الماركسي ، انطلق الماركسيون الاشتراكيون ، في كل عصر وزمن ، فصاروا :

١ - لا يعتقدون بوجود الله .

٢ - ويعتقدون ان الانسان ليس بمخلوق خلقه الله ، بل هو خالق .

٣ - وأن الدين مسألة ضمير فردي ، فيجب استئصاله من الانظمة السياسية ، ومن التعليم العام ايضا ، حتى تفقد الكنائس قدرتها على اعاقه النمو الحر للمجتمع ( انظر : تاريخ الفكر الاشتراكي لمؤلفه ج . هـ كول ١٢ ٣٠٩ - ٣١٤ )

ولا مجال لاي اعتراض على هذا الذي ذكرنا . فتاريخ الاشتراكية الماركسية لا ينكر هذا المبدأ قط .

الا ان الاشتراكيين الذين يتبعون مبادئ ماركس كانوا يخفون احيانا هذا المبدأ ، أو يتظاهرون بحرية الدين . خداعا منهم وتضليلا ، لأن الظروف التي كانوا فيها ، كانت



تجبرهم على ذلك ، وعندما تمر تلك الظروف يعلنون  
الالحاد .

ولدينا أمثلة واضحة على ذلك :

فماركس ، عارض مرة « حلف الديموقراطية  
الاشتراكية » عندما وضعت بيانها وذكرت فيه : « ان  
الحلف يعلن انه ملحد . انه يؤيد الغاء العقائد الدينية ،  
واحلال العلم محل الايمان ، والعدالة الانسانية محل  
العدالة الالهية »

ورأى ماركس أن تصدير الاعلان بالالحاد  
سياسة سيئة .

( انظر تاريخ الفكر الاشتراكي ، ٣١٦/٢ ) .

ولم تكن معارضة ماركس ، واعتباره تصدير الاعلان  
الشيوعي بالالحاد سياسة سيئة لانه كان مؤمنا بالله ، فهو  
كان ملحدا . وكان يقول : « لا اله ، والحياة مادة » ،  
ويقول : « ما الدين ، والاخلاق ، والقانون في نظر  
البروليتاريا الا آراء بورجوازية . ورسالة البروليتاريا  
هي القضاء على الدين والداعين اليه . »

وكذلك كان يقول : « ان الدين هو أفيون الفقراء » .

انما كان استيائه ، من الاعلان يومئذ ، لئلا يؤثر  
في نشر دعوته الاشتراكية . لذلك رأى اللجوء الى  
السكوت ، والى اخفاء هذه العقيدة ، حتى تستتب له  
الامور .

وكذلك فعل اتباع ماركس الاشتراكيون الذين  
استمدوا اشتراكيتهم من مبادئه ، مثل لينين وستالين .  
فهم اعلنوا الحادهم ، وهاذنوا الدين ايضا في فترة محدودة  
، من الزمن ، وعندما استتب لهم الامر قضوا على الدين  
وحاربوه .

كان لينين يقول : « الالحاد جزء طبيعي من الماركسية  
لا ينفصل عنها » . وعلى أثره سار ستالين وخروتشوف ،  
وغيرهما ، على أن اعتقادهم هذا لم يمنعهم من « مغازلة »  
الدين ، وترك المتدينين يلهون بدينهم الى حين .

ذلك لان هؤلاء الاشتراكيين ، عندما يرون أن سلطان  
الدين ما يزال قويا في النفوس لا يمكن انتزاعه منها ،  
فانهم ينتظرون الفرص المواتية .

وأعظم تجربة للاشتراكية الماركسية كانت في روسية ،  
وفي روسية ملايين من المسلمين . فما فعل القادة

الاشتراكيون بالدين الاسلامي ، وبالمسلمين ؟

ان قادة الثورة ، وعلى رأسهم لينين ، « لم يروا من الحكمة الدخول في حرب مباشرة ضد الاسلام الذي يدين به نحو اربعين مليوناً من الناس في قازان ، والتركستان ، والقوقاز ، الخاضعة لحكمهم . فرأوا أن يخادعوا المسلمين ويهادنوهم ، ليكسبوا المسلمين الاشداء الى صفوفهم ، وهم المحتاجون لكل عون لثورتهم ابان قيامها .

وبينما نجد الشيوعيون الروس يصرون في ٢٤ تشرين الثاني ١٩١٧ بيانا الى جميع المسلمين يقولون فيه : « نعلن من الان فصاعدا انكم احرار في دينكم وعاداتكم ، ومدارسكم القومية مصونة من أي تدخل . فأسسوا حياتكم القومية دون عائق ، حافظوا على الثورة وساعدوا حكومتها . . . »

نجدهم في عام ١٩٢٣ بعد أن استتب لهم الامر يعلنون في المؤتمر الشيوعي الذي عقد للبدء بالحرب ضد الاديان ما يلي :

« يوجد داخل اتحاد الجمهوريات ثلاثون مليوناً من المسلمين ، كانوا يعيشون الى الان دون ان يمسه شيء ، كما انهم يحافظون على عقائد باطلة ،

وخرافات من العصور الوسطى لها صلة  
بالدين ، وغايتها الاضرار بالثورة .  
وبعد أن نظرنا في هذا كله ، ودرسنا خصائص كل  
أمة على حدة، قررنا القيام بالخطط والتدابير الواجب  
عملها لازالة هذه العقائد الباطلة من أوساط هذه  
الامم ... » - ( الاسلام والمباديء المستوردة  
ص ٢٢ - ٢٣ ) .

وكان من التدابير التي اتخذت منع التعليم الاسلامي  
من مدارس الحكومة في البلاد الاسلامية . وأُغلقت  
المساجد، حتى انه أُغلق في تركستان ١٤ الف مسجد، وفي  
الاورال ٧ آلاف مسجد ، وفي القوقاز ٤ آلاف .

ويذكر ريمون شارل في كتابه « النجمة الحمراء ضد  
الهِلال » ، ان هذه المساجد حولت الى  
... ومشارب، ونواد، واسطبلات، كما حول جامع سمرقند  
« ناد للملحين » - ( الهلال الشهيد ، ص ٥٠ )

وبعد خمس سنوات من قرارهم السابق ، نجدهم في  
عام ١٩٢٨ يقولون في برنامج المؤتمر السادس الشيوعي  
ما يلي :

« الحرب ضد الدين ، - افیون الشعب -

تشغل مكانا هاما من اعمال الثورة الثقافية . ويجب  
أن تستمر هذه الحرب باصرار ، وبطريقة منظمة .

وحكومة العمال تعترف بحرية الضمير  
ولكنها في الوقت نفسه تستعمل كل الوسائل التي  
تملكها للقيام بدعاية ضد الدين ، وتنظيم التربية على  
اساس التصور المادي للعالم . «

وبعد قرابة خمس سنوات صدر في عام ١٩٣٢ ،  
قانون الهيئات الدينية الخمسية ، وجاء فيه : « في اول ايار  
١٩٣٧ - اي بعد خمس سنوات دائما - لن يبقى في كافة  
البلاد مكان للعبادة ، ويجب القضاء على فكرة الاله التي  
هي من بقايا القرون الوسطى المظلمة . » - ( الاسلام  
والمباديء المستوردة ، ص ٣٣ )

ولا يهمننا ان ستالين اضطر اثناء الحرب الثانية الى  
السماح بنسبة محدودة من حرية العبادة ، ولكن المهم مما  
ذكرت هو أن التجربة الاشتراكية في روسية هادنت الدين  
فترة معينة ، لانه كان لديها مشكلات اخرى تود حلها .  
فلما استتب لها الامر ، وذهبت جذورها في الارض ، بالقوة  
والعنف ، أعلنت الحرب على الدين .

لذلك نجد أن التلميح الى الدين ، والايمان ،

والرسالات السماوية في الميثاق ، وايهام الناس ان الاشتراكية هي الاسلام ، كل ذلك من نوع استياء ماركس لاعلان الالحاد ، ومن وحي ما فعلته التجربة الاشتراكية في روسية ، برأي لينين ، من مهادنة الاسلام ، والابتعاد عن شن حرب عليه يوم كانت الثورة ضعيفة ، في بدايتها .

واليوم تمر التجربة الاشتراكية في ديارنا بالطريق الذي مرت به التجربة الماركسية - اللينينية في روسية . فهي لا تهادن الدين ، أو تتجاهله ، لكنها تقتصر الطريق ، وتحاول بما تشنه من الدعاية المختلفة الألوان ، في اوساط المتمسكين بالدين ، ان توهم الناس ان الدين والاشتراكية صنوان ، لا يناقض الواحد الاخر . فهي تهدم الدين باسم الدين ، وعندما تصبح جذور الاشتراكية عميقة ، وينتهي الاشتراكي المبتيء الى الوصول الى تعاليم ماركس نفسه ، والى الالحاد ، فلن تكون الدولة بحاجة الى محاربة الدين ، لانه يكون قد زال من النفوس ، بالتدريج .

وهذه خطة اكثر مكرًا ، ونكرًا .

وليس ما نقوله الا نتيجة لاستقراء حال الثورات كلها . وقد فصل « برتتون » في كتابه عن « الثورة » ان جميع الثورات المادية كانت ضد الدين ، لان اصحابها

يصرون على نيل جنتهم في هذه الارض (الثورة، ص ٢٩١) .

ويؤيد ما قلناه ان الدكتور عصمت سيف الدولة قال في كتابه الذي الفه عن « اسس الاشتراكية العربية » ونشرته مؤسسة حكومية مصرية: قال عن صفات «الطليعي»

« لقد انقضت المجتمعات الدينية ، فحتم على الطليعي ان يكون مطهرا من التعصب الديني . ان الطليعي العربي لا يتحيز للماضي... » - ص ٤١٢ .

لقد قال الرئيس عبد الناصر ان الاسلام كان اول صيحة اشتراكية من القرون الوسطى : أما الاشتراكية العلمية فهي آخر شكل للاشتراكية في هذا القرن . ولا تزال صيحة خروتشوف الزعيم السوفياتي السابق حين زار مصر في الصيف الماضي مدشنا مشروع السد العالي تصك الآذان حين قال امام الرئيس عبد الناصر ، وامام صيحات الشعب ، ونداءاتهم بالوحدة العربية : « واية علاقة للاشتراكية بأمر الكويت العربي المسلم ؟ » . ولم يرد عليه احد بكلمة ، بل اذاع راديو القاهرة صيحة خروتشوف من غير تعليق !





## الفصل السادس

# النموذج من التطبيق الاشتراكي على الدين

الى جانب الدعوة التي بينها في الفصل الرابع  
لايهاجم الناس ان الاسلام هو الاشتراكية ، أو أن لها صلة  
به . ظهرت حركة ثانية هدفها كتابة التاريخ الاسلامي ،  
معروضا حسب التفسير المادي الماركسي للتاريخ .

فمنذ كانون الثاني من عام ١٩٦٥ أخذت تظهر في  
مجلة « الكاتب » المصرية - وهي على حد قولها « مجلة  
المتقنين العرب » - سلسلة من المقالات بعنوان « الصراع  
بين اليمين واليسار في الاسلام » . وأراد كاتبها أن يكتب  
التاريخ الاسلامي بتفكير رجل ماركسي اشتراكي .  
ومجلة « الكاتب » مجلة اشتراكية ماركسية ، تعبر

عن هذا الاتجاه وتدعو اليه وتدافع عنه • وهي تصدر عن « الدار القومية للطباعة والنشر » ، أي أنها مجلة حكومية .

في هذه المقالات تجد للنبي محمدا اسما جديدا •  
« انه زعيم اليسار وواضع مبادئه الاساسية » • وقد اراد الكاتب أن يصور الاسلام ثورة يسارية ، ومحمدا ثائرا يساريا متطرفا • لكن يبدو أن بضاعته بالتاريخ الاسلامي قليلة ، فراح يأخذ من رؤوس الحوادث اشارات ، ويصبغها بصبغته الحمراء ، ويزوقها بألفاظ معروفة من المعجم الماركسي : الطبقة ، اليمين ، اليسار ، الصراع •

ويستنتج منها نتائج لا يحتملها ميزان ولا قبان •  
قرأت هذه المقالات بامعان • فوجدت من اضاءة الوقت الرد عليها ، فإنما يمكن الرد على ما فيه حقيقة اختلف في ايضاحها ، أما الرد على استنتاجات وهمية ، وتفسيرات هوائية ، ومزاعم عجيبة خاطئة مضللة ، فهو لا شك من ضياع الوقت • فقد لوز الكاتب الحوادث التاريخية باللون الذي يريد ، وفسر أعمال محمدٍ على ما يوافق هواه ، وتكلم عليه كما يتكلم على زميل له يعمل معه في مجلة الكاتب تماما ، وقد لا يفهم النصوص ، او الآيات ، أو الملابسات ، او طبقات المؤرخين ومبلغ الثقة في كل

واحد ، ومع ذلك فهو يحمل التاريخ الاسلامي في كفه ،  
ويلعب به كما يشاء .

واعتقد ان عرض انموذجات من هذه الدراسة الجديدة  
التي تسبق مصر بها جميع البلدان العربية، ضروري جدا .  
يقول الكاتب مثلاً : « وكما يحدث في أي ثورة ، فاننا نرى  
في الطليعة المؤمنة بالدين الجديد ثلاثة تيارات : احدها  
يسار ثوري ، والثاني وسط معتدل ، والثالث : يمين  
محافظ .

ويضيف :

« ومن البديهي ان اليسار الثوري يتكون من  
المعدمين والموالي والعييد . وهم الذين وضحت  
رؤيتهم للاسلام بسبب تحررهم من أي ملكية ، أما  
الوسط فمن هؤلاء الرجال العاملين الذين كان عليهم  
انقاذ الاسلام بعد وفاة النبي من الصراع الذي يوشك  
ان يحدث بين اليسار الذي يفسر الاسلام تفسيراً  
يحقق العدل على اوسع نطاق ، واليمين الذي يرى  
ان الاسلام لم يرم الى الغاء الامتيازات الطبقية ، ولم  
يقصد الى تحقيق العدل الاجتماعي على هذا النطاق  
الواسع . . . »

واسمعه يقول عما توهمه وأسماء «مجلس الشورى» :  
« وفي حياة النبي كان رجاله المقربون هم المستضعفون ،  
وعلى رأسهم علي بن أبي طالب . الا ان السياسة العليا  
لتثبيت دعائم الدولة الجديدة اقتضت ان لا يدخل في  
مجلس الشورى الذي لا نعرف بالضبط ما هي الصورة  
الرسمية التي تشكل على اساسها .

« هذا المجلس لم يكن يضم من اليساريين الثوريين  
الا علي بن ابي طالب (لاحظ التناقض بين هذه الفقرة ،  
والسابقة) أما بقية اليسار فكان من المستضعفين الذين لا  
يملكون قوة من أي نوع الا ما اقدمهم به صدق  
اسلامهم .

« بل لعل المجلس لم يتشكل تشكيلا رسميا في  
عهد النبي ، انما استتبطت شروطه بطريقة اجتهادية ، لعبت  
فيها السياسة دورا كبيرا . والارجح ان النبي لم يشكل  
هذا المجلس ليفرضه على المسلمين »

هذه السطور القليلة تحمل من التأويل الكاذب ومن  
التناقض ما لا مزيد عليه .

فالكاتب يقرر جازما ان مجلس الشورى كان في زمن  
النبي ، وان السياسة العليا ابعدت عليا عنه .

ثم يقرر أن الصفة الرسمية لتشكيل هذا المجلس لم تعرف على الضبط .

ثم يقول ان المجلس لم يتشكل تشكيلا رسميا في عهد النبي .

واذن فلماذا كل هذا الكلام الفارغ ، ما دام لا يوجد مجلس ، ولم يتشكل ؟ ولماذا هذه الاكاذيب على التاريخ؟ يبدو أن الكاتب افترض أنه لا بد أن يكون بجانب «زعيم اليسار» مجلس مثل «مجلس السوفيات الاعلى»، فاختلق كل هذا الكلام ، دون أن يكون له أي سند واقعي تاريخي يستند اليه . فمجلس الشورى ألف مرة ايام عمر ليتولى انتخاب الخليفة الذي يليه .

وعندما تحدث الكاتب عن « اجتماع السقيفة » ، ذهب ، أو تخيل « ان اليسار كان يُقدّر أبا بكر ، ولكن ليس الى الحد الذي يسلم له قيادة المسلمين ، خاصة وأن التطبيقات الاجتماعية لاسلام لم يكن قد شرع فيها بعد . لذلك عارض علي بن ابي طالب والمجموعة التي تمثل اليسار من صحابة النبي في البيعة لابي بكر . ان اليمين كله قد رحب بخلافة ابي بكر بما فيه مجلس الشورى الذي لم يظهر كقوة هامة ذات طابع رسمي الا

منذ تاريخ البيعة • واستمر بعد ذلك قائما الى ان صُفي المجلس كله ، اما بالوفاة ، واما بالاعتزال ، واما بالقتل في الصراع الذي نشب بين أعضائه على الخلافة ، حتى استولى معاوية على السلطة • «

وقول الكاتب عن اليسار واليمين تافه لا يؤبه له •  
وانما عاد مرة ثانية الى مجلس الشورى وزعم وجوده أيام السقيفة • مع أنه كما ذكرنا لم يكن موجودا قط •

ثم يقول : « وترحيب اليمين بهذه الخلافة ( أي خلافة ابي بكر ) والاسراع بتأييدها ليس له الا معنى واحد • هو أن غالبية المسلمين كانوا مع الاتجاه اليساري الذي يمثله علي وأصحابه ، أعني جماهير المسلمين العريضة كانت مع هذا الاتجاه • لان النبي نفسه كان زعيمه وواضع مبادئه الاساسية »

وهكذا يتخيل الكاتب خيالات، ويرسمها على الورق،  
حقائق بهدي من التعاليم والالفاظ الماركسية التي تملأ رأسه •

ولا بد أن أشير أن الكاتب يعود ويكرر أن علي بن ابي طالب هو وارث المبادئ اليسارية عن محمد ، وأنه زعيم اليسار • وليس هذا التكرار الا مقصودا • وهو

تكرار كنا نسمعه في الدعايات الشيوعية للبلدان التي فيها عدد كبير من الشيعة ، لايهام الشيعة أن عليا كان يساريا ، وأنه تزعم الجبهة اليسارية بعد محمد . وكل ذلك ليؤلفوا قلوبهم ويستغلوا فيهم حب الامام علي ، ويدفعوهم الى الشيوعية الماركسية . والان تعود مجلة « الكاتب » لمتابعة الجهد الشيوعي في تشويه حقائق الاسلام ورجاله .

ثم اسمع الكاتب يقول : « ولما حضرت الوفاة أبا بكر كان أهم ما حرص عليه ( أي اليسار ) هو أن تتم البيعة لعمر بن الخطاب . واليسار دائما يفتقر الى المبادرة لأنه غالبا يؤمن بالمثل العليا . والميل الى المهادنة ( كذا ) ، خاصة اذا تعرضت الثورة للهزات . وهكذا وقف اليسار موقفا غريبا : موقف المقاطعة ، ثم موقف المسالمة ، ثم الموافقة ، حتى تتخطى الثورة ككل ، ما يتهددها من أخطار . » ( ص ٤٦ العدد ٤٦ )

وعندما يتحدث الكاتب عن عزل سلمان الفارسي عن الكوفة من قبل عمر ، يقول : « فهناك واقعة هامة لها دلالتها ، وهي أن سلمان الفارسي كان عاملا على الكوفة ، في عهد عمر . وأراد أن يسير في العراق سيرة تنفق واتجاهه الفكري واليساري فيكون نقابات للصناع »

- « فالذي حدث - والمصادر هنا غامضة ايضا - أن  
التجار والاغنياء ( طبعا حسب المفهوم الماركسي ) حاولوا  
استمالة اليهم ، فلم يوفقوا ، فبدأوا يحاربونه حربا  
صريحة لا يعقل أن تحدث الا اذا كان هو من جانبه قد  
اتخذ من الاجراءات الادارية ما هدد مصالحهم فعلا .  
ويبدو أنه لم يكن من السهل اسقاطه محليا - وليس لهذا  
التفسير الا أنه كان يتمتع بشعبية واسعة في ولايته .  
الا أنهم ذهبوا وفدا الى مقر الخلافة في المدينة ، فقابلوا  
عمر بن الخطاب ، ورفعوا اليه شكواهم ، وسردوا عليه  
الاجراءات التي اتخذها، والتي كان فيها اضرار بمصالحهم،  
وعلى الفور عزل عمر سلمان .

« ومن المؤكد أن هذا العزل أثار جدلا عنيفا بين حزب  
اليسار وعمر ، ولكن عمر لم يغير موقفه ولم يتخذ اليسار  
أي خطوة عنيفة ليلغي هذا العزل . . . »

هل فهمت أيها القاريء كل هذا الذي تخيله وأظن  
في ذكره هذا الكاتب . وساقه على أنه حقيقة واقعة ،  
وأكد فيه أشياء لم يذكر أي كتاب ولا مصدر أنها وقعت .  
هل فهمت هذا ؟ اذن استمع الى البقية :



« ومن الغريب أننا سنجد ولاية سلمان وعزله قليلة  
الورود في كتب المؤرخين ! »

فإذا كان المؤرخون الكبار الاثبات لم يذكروا ولاية  
سلمان ، فكيف يستنتج الكاتب كل هذه الامور ، وكيف  
يكتب التاريخ بالاهام ؟

من كل ما ذكرنا من الشواهد ترى أن الهدف من  
عمل الكاتب هو خلق الاكاذيب ، وجعلها حقائق ، ثم  
استنتاج نتائج يريد الوصول اليها . وان هدفه أيضا صبح  
التاريخ الاسلامي باللون الماركسي ، ابتداء من محمد  
« زعيم اليسار » ، الى علي « وارث المبادئ اليسارية » ،  
الى سلمان الفارسي الى غيرهم .

وليس الغريب أن يعمد الاشتراكيون الماركسيون  
العرب الى مثل هذه الاساليب في سبيل تمكين سلطانهم .  
لكن الغريب حقا أن تصدر هذه المقالات في مصر ، « كنانة  
الاسلام » بل « كنانة الله من أرضه » .

الغريب أن تصدر في مصر وفيها « الازهر الشريف »  
« حامي حمى الدين » ، ثم لا نجد ازهريا واحدا يرد  
على هذه الترهات ، ويحتج على صدورها في مجلة تصدر

عن الحكومة ، ولا نرى الازهر نفسه يتصدى لبطانها  
أو تنبيه الحكام الى ايقافها .

وكأن الامام محمد عبده كان يستشف بنور الغيب  
تخاذل علماء الازهر في مصر وسكوتهم امام هذه الغارات  
الهدامة على الاسلام عندما خاف أن تقضي على الدين  
العمائم ، وهي التي ينبغي ان تحرسه وتدود عنه .

والغريب أيضا ان تصدر هذه المقالات في مصر ،  
وفيها « الجامعات » العديدة ، تضم « كبار المؤرخين » فلا  
نجد استاذا مؤرخا قام للرد على أخطاء الكاتب ، وبيان  
تشويهه الحقيقة ، والعبث بها .

فبعد هذا كله تتساءل : أحقا أن الميثاق يرفع الدين ،  
وفي ظل الميثاق يسمى محمد « زعيم اليسار » ؟

أحقا أن النظام الاشتراكي العربي يحافظ على الدين  
وفي ظلالة تصدر هذه المقالات والمؤلفات ؟

## الفصل السابع

# الإشتراكية تلهو بالدين

رأيت في الفصل السابق كيف يتخطى الاشتراكيون الماركسيون في مصر حدود اللياقة ، فلا يراعون شعور المسلمين في مصر والبلاد الاسلامية ، ويسمون محمدا زعيم اليسار ، ويفسرون الدعوة الاسلامية تفسيراً مادياً ، فيجردونها عن قدسيها وجانبها الالهي . فالاسلام في نظرهم صراع بين طبقات ، وتمهيد لحكم اليساريين ، وليس وحياً ، ولا ايماناً روحياً

والمتتبع لما تنشره الصحف اليسارية في مصر من صور كاريكاتورية يجد الكثير من الاستهزاء بالدين وأهله ، ففي آذار من عام ١٩٦٢ ظهرت في جريدة « المساء » القاهرية صورة كاريكاتورية تمثل ديكا ناشراً جناحيه ، وتحتة تسع دجاجات ، وتحت الصورة التعليق التالي :

« محمد افندي والزوجات التسع » . وقد أثارت هذه الصورة استياء العالم الاسلامي ، حتى انها قدمت الى مجلس جامعة الدول العربية ، وكان منعقدا يومئذ في الرياض .

ومن هذه الصور ايضا ما نشرته « أخبار اليوم » مرة ، فقد نشرت لاعب كرة ، يضرب بقدمه كرة قدم . لكن الكرة كانت عمامة شيخ من شيوخ الازهر . وثار يومئذ الشيخ محمد الغزالي ، وخطب خطبة شديدة ينعي فيها الاسلام وحرمة وكرامته . وخرج طلاب الازهر في مظاهرة ، ردت وتفرقت . واعتذروا للشيخ الغزالي يومئذ عن هذه الصورة .

وما زلت أذكر الصور المتتابعة التي كانت تنشرها مجلة « روز اليوسف » عن « الشيخ متلوف » . والشيخ متلوف كان رمزا يرمز الى الشيخ مخلوف شيخ الازهر الذي عزل من منصبه .

انا لا نقول ان الحكومة هي التي أمرت بهذه الصور المختلفة ، فهذا شيء بعيد عن التصديق . لكن هذا الشطط في الهزء بالدين ورجاله لم يحدث قط في العهد المتهم بالرجعية ، ولا الاستبداد ، من أيام فاروق حتى المماليك .

وهو ليس غريبا عن الماركسية وأساليبها أبدا .

وقد غضب الرئيس عبد الناصر مرة على رجال الدين الازهريين بعد صدور قوانين التأميم ، لان بعضهم افتى بتحريم ذلك . فقال في احدى خطبه ( تموز ١٩٦١ ) ان رجال الدين يصدرون فتوى بفرختين ، وأنهم اجراء للرجعية ، اجراء للاقطاع ، اجراء للرأسمالية .

وفي هذا الخطاب أعلن الرئيس عبد الناصر « أن الدولة التي أقامها الاسلام ، والتي أقامها سيدنا محمد كانت اول دولة اشتراكية ، لانه قال : الناس شركاء في ثلاثة : الماء والكلا والنار » .

وأضاف أن الاسلام بعد النبي سار في طريق الاشتراكية ايام ابو بكر وعمر ، « فعمر أمم الارض ووزع الارض على الفلاحين » .

ان هذا التفسير لاقوال الرسول ، وأعمال أبي بكر وعمر لا تؤيده الظروف التاريخية التي كانت يومئذ . فالماء والكلا والنار لم يفتصبها الرسول من أحد وأراضي السواد التي جعلها عمر للمسلمين لم تكن ملكا للمسلمين فأخذها منهم باسم التأميم ، وانما كانت اراض أخذت

بحق الفتح ، فلاحق لواحد أن يملكها ، وانما هي  
للفاتحين - أي المسلمين جميعا .

ومثل هذه التفسيرات نجدتها واضحة في خطاب  
آخر للرئيس عبد الناصر ألقاه في اليمن (٢٥ نيسان ١٩٦٤)،  
فالرئيس ادرك يومئذ بذكائه ومعرفته نفسية الجماهير أن  
اليمن بلد اسلامي ، مؤمن ، متمسك بالدين . وأن اليمنيين  
مؤمنون مسلمون ، لذلك خاطبهم بما يحبون . فتحدث عن  
الاسلام حديثا لم يتحدث بمثله في كل ما مضى من خطبه .  
فكان مما قاله :

« حينما قام محمد صلى الله عليه وسلم برسالة الله،  
وينادي بالاسلام كان يعني القضاء على الاقطاع ، والقضاء  
على الاستبداد ، والقضاء على الامامة ، التي تمكنت في  
تلك الايام تحت اسم الاسر : كأسم أسرة بني سفيان  
وأسرة قريش » .

ثم قال : « قامت ثورتنا في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في  
مصر ، وهي تحمل الشعارات التي خرج بها الاسلام على  
العالم . وأول هذه الشعارات هي الحرية ، حرية الفرد،  
حرية الوطن . ولا يمكن للوطن أن يكون حرا اذا لم يكن  
الفرد حرا . وكان لا بد لنا من أن نحرر الفرد من

سيطرة الاقطاع ، ومن سيطرة رأس المال ، ومن كل انواع السيطرة حتى يكون الفرد حرا ، يستطيع أن يقول نعم حينما يشاء ، ويستطيع أن يقول لا حينما يشاء . وسرنا في هذا ، وكنا نؤمن من قلوبنا أننا نثبت دعائم الاسلام التي استطاعت الخلافة في سنين طويلة أن تنزعها وأن تحجبها عن المسلمين ... ! »

وبعد أن دعا الرئيس الى الجهاد ، قال ان جنود مصر يحاربون في اليمن من أجل رسالة الله ، و اضاف : « نحن نساند الاحرار في كل جزء من أجزاء الامة العربية . وانا بهذا أيها الاخوة ، نشعر أن هذا واجب علينا . ان الذين حضروا اليكم من جنود ، واستشهدوا في سبيل الله ، من أجل رسالة الله . لم يحضر جندي الى هذا البلد من أجل منفعة ، بل حضر من أجل مصيره ، من أجل مبدأ . ساروا جميعا لملاقاتة الله من أجل رفعة راية الحرية ، ومن أجل رفعة راية الاسلام ، ومن أجل رفعة راية الدين . من أجل هذا ساعدنا كل الثورات ، وكل الحركات التحررية في العالم . كما نعتقد أيها الاخوة أننا نرسي دعائم الدين ، ونرفع راية الاسلام » -

ثم خلاص الرئيس من الاسلام الى الاشتراكية فقال:

« وكانت الرسالة التي نادينا بها أيها الاخوة هي الاشتراكية . والاشتراكية هي أساس المساواة ، والاشتراكية هي أن لا يتحكم فرد في فرد . وكان أول دين نادى بالاشتراكية هو دين الاسلام . فعلا كان محمد امام الاشتراكية . ان ثورتنا في مصر قامت على الاسلام ، الامر شورى بينهم ، هناك مجلس أمة ، هناك حركات شعبية ، هناك حق لكل فرد أن يقول رأيه . ولقد سمعتم هذا من الرئيس السلال . وبهذا نرسي دعائم الاسلام ! »  
- ( خطاب الرئيس عبد الناصر في اليمن ، ٢٥ ابريل ١٩٦٤ ، منقولاً عن كتاب الاشتراكية من أقوال الرئيس عبد الناصر )

هذا الخطاب جدير أن يقرأ . لانه يدل على منهج وأسلوب ، بصرف النظر عما ورد فيه . وهو يدل أيضا على نظرة الاشتراكية المصرية الى الاسلام واستخدامها اياه في بلوغ أهدافها . لذلك أثبتنا فقرات طويلة منه ، ليقراه القارئ مراراً ومرات



## الفصل الثامن

# هل الثورة هي الطريق الوحيد؟

رأينا في الفصل الثاني أن الميثاق اثنى على الثورة ، وجعلها « بالطبيعة عمل شعبي وتقدمي » . ورأينا أن الرئيس عبد الناصر جعل الطريق الثوري هو الطريق الوحيد للتقدم ، ليس للمصريين وحدهم بل للامة العربية كلها . ورأيناه يؤكد في احدى خطبه ان الثورة هي السبيل الوحيد لانتقاذ فلسطين . وعاد في خطبة يوم ٢٢ يوليو ١٩٦٥ ، فأكد « ايمانه بغير حد بمقدرة الثورة ، وبحتمية انتصارها بكل الشعوب ولكل الشعوب المتطلعة اليها ... » . وكذلك اصر منهاج حزب البعث للمرحلة الجديدة ( آب ١٩٦٥ ) على حتمية الحل الاشتراكي الثوري ، وترسيخ قواعد الثورة .

وقد مر بك ايها القاريء عدد من الالفاظ الثورية أو

الالفاظ المنسوبة للثورة التي وردت في الميثاق • ومثل هذه الالفاظ تقرأ في مقالات البعث وبياناته الرسمية ، مما يدل كله على ان « الرؤية واضحة » - على حد تعبير الرئيس عبد الناصر ، وأن الهدف معروف عند الاشتراكيين في مصر ، وسورية •

فماذا تريد الثورة ، وما هي غايتها اولا ؟

في الكتاب الجيد الذي ألفه « برتون » عن الثورة ، بعد ان درس اربع ثورات عالمية كبرى ، اجابة عن اسئلتنا •

ان الثورة تريد وتهدف اولا وآخرا الى التغيير • وهو من اهداف ماركس التي مرت بنا • ألم يقل : « ان الشيء المهم هو أن نغير هذا العالم » ؟

وهذا التغيير يتضمن معنى المفاجأة • فهو تغيير مفاجيء ، ليس بتدريجي - والمفاجأة الثورية تأتي بانقلاب عسكري ، او فوضى دامية تستولي فيها الاقلية على الحكم • وسواء جاء التغيير بثورة دامية أو فوضى دامية • فانها تحمل طابع العنف والقوة ، وتقتضي البطش والشدة والصرامة • فالثائرون يرون الناس جميعا أعداء لهم • ولذلك يبررون قتلهم ونهب أموالهم وتعذيبهم ، ماداموا لم

يستجيبوا لندائهم أو ينطوا تحت لوائهم ، أو يشاركوهم  
عقيدتهم الثورية •

ويذكر برنتون ان العقائد الثورية هي على الاغلب  
زخرف يخفى فيه الثوار افعالهم ودوافعهم الحقيقية ، وكل  
ما يقال عن محاسن الثورة لا يوازي عسير مساوئها، وليس  
من الصحيح ان البشرية لا تتقدم الا بالثورات . والتجارب  
الثورية في البلدان التي اتبعت طريق ماركس تدل على  
التأخر وليس على التقدم . وما من صفة ينسبها الماركسيون  
الى الثورة صحيحة ، بل اعكسها ، تجد عندئذ الواقع  
والحق .

ويحلل برنتون نفوس الثائرين - والماركسيون منهم  
- بعد استقرار طويل لتاريخ حياتهم ، فيرى أنهم على  
الاغلب أناس كانوا غير ناجحين في ظل اوضاع ما قبل  
الثورات ، أو يعانون من مركبات النقص ، ويحسدون  
من هم أحسن منهم حالا ، أو راغبون في منافع مادية  
 واجتماعية ، أو عجزوا عن النجاح في أوجه من النشاط ،  
أو يطمحون الى شيء كبير وليس لديهم من الكفايات الحققة  
ما يصلون به ، بصورة طبيعية ، الى ما يريدون . وأحيانا  
تجد أن فيهم لوثة من جنون أو أنهم مرضى النفوس -

وبسرعة يجتمع هؤلاء الثائرون الناقمون الحاقدون  
الظامعون حول واحد منهم يكون « الثائر الكبير » أو  
« المضلل العظيم » .

ولو أننا تتبعنا تاريخ حياة الذين ينادون بالثورة ،  
والتغيير الثوري ، والاشتراكية الماركسية ، ورجعنا الى  
طفولتهم ، وصباهم ، وعرفنا اين نشأوا ، وكيف عاشوا ،  
لظهر لنا أن ما فعلوه لا يخرج دافعه عن العقد النفسية  
المختلفة التي أصيبوا بها . ومثل هذه الدراسة  
السيكولوجية اذا وضعت ذات يوم ، فانها ستفضح نيات  
الكثيرين الذين كانوا يزعمون أنهم ينادون بالاصلاح  
والتقدم .

ويؤكد « برنتون » أنه « لا يجدينا نفعا ان تنكر أن  
من بين الذين وصلوا الى القمة في الاوقات المضطربة من  
الثورة ، الكثيرين ممن لا يحتمل أبدا أن نسمع بهم في  
الاقوات الطبيعية . »

ثم يضيف : « ان بعض هؤلاء كانوا لا شك مخفقين  
في المجتمع القديم ، انهم رجال لم يتمكنوا من تحقيق  
الاعراض التي كانوا يطمحون اليها ... » .

« ولا جدال أن عددا كبيرا من الاوغاد يرتفعون الى  
القمة في خلال فوضى الثورات . »

« ويزعم هؤلاء ان التغيير أو الثورة هو طريق  
التقدم . لكن الحقيقة أن « الثورة لا تعيد خلق البشرية »  
بل تشوهها وتهدمها .

« ولن تجد أية ثورة قبل بها الناس عن طيب خاطر ،  
وانما هي تفرض فرضا . بالانقلابات العسكرية ،  
والدكتاتوريات ، والارهاب والقتل ، والسلب ، وتبديل  
التقاليد والمفاهيم والمقاييس ، حتى المقدسة منها . لان  
هذه العقائد الثورية ، محرقة ومحرضة ، اكثر منها داعية  
للسلام ، قال برتون : « ويصح هذا بوجه خاص على  
أحدثها وهي الشيوعية الماركسية » .

أما غاية هذه « الطبقة الجديدة » التي تستولي على  
الحكم فهي على ما يقرره برتون :

الاستمتاع بالحياة اولا ،

والحصول على الامتيازات ، والثروة التي كان يملكها  
أناس غيرها ،

ورغبة في البقاء في الحكم يصرحون ان الثورة مستمرة ، لها بداية ولا تنتهي .

ويضيف الكاتب : وهذه « الطبقة الجديدة » لن تحاول يقينا تحقيق الحرية والمساواة والاخاء لكل فرد في المجتمع . فهم قضاوا على نظام طبقي ليخلقوا بدلا منه نظاما طبقيا آخر »

ويضرب برتون مثلا على ذلك الروس . فيقول :

« يعيش الروس الان ، كما يعرف حتى المناصرون للشيوعية، في مجتمع يتفاوت فيه توزيع السلع الاستهلاكية ودخل الفرد تفاوتا كبيرا . فالسياسي الروسي ذو المكانة ، أو مدير المصنع ، أو الكاتب المشهور للمسرح ، أو راقصة الباليه ، يتمتع بثروة مادية تجعل من المجتمع الروسي مجتمعا يفتقر في أساسه الى المساواة الاقتصادية بقدر ما يفتقر اليها أي مجتمع رأسمالي » - ص ٣٣٥ .

ويتابع كلامه فيقول :

« ويستطيع حكام روسيا أن يقولوا لشعبهم ان مثل هذا التفاوت هو مرحلة انتقالية اقتضتها مقاومة العالم الشرير في الخارج ، وان دكتاتورية الطبقة العاملة - وهي

مقدمة اساسية للمجتمع غير الطبقي - لا بد من اطالة  
امدها قليلا . وفي يوم من الايام ، حين تكتسح الثورة  
الشيوعية العالم ، سيكون الرجل الذي يكنس الشارع  
مساويا فعلا ، من الناحية الاقتصادية لعضو المكتب  
السياسي ، ولكن ليس الان . »

ويقول برتون : « ان هذه الحجة ، على أية حال ،  
هي حجة ضعيفة في اساسها . » - ص ٣٣٦

ان الثورة الاشتراكية في روسية كانت دائما تمنى  
الشعب الروسي بالرخاء والحرية والمساواة ، ونزع  
الطبقية . وها هي بعد أكثر من أربعين عاما لم تستطع ان  
تحقق أي شيء مما كانت تبشر به . ان الطبقات لم تمح  
هناك حتى الان ، فالى جانب الاشخاص الذين ذكرهم  
برتون وأعني : السياسيين ورجال « الاتتالجنسيا » ، فان  
الحزب الشيوعي نفسه يعتبر طبقة مميزة عن غيرها من  
افراد الشعب . لها من الامتيازات ، أو أنها تستطيع ان  
تحصل من الامتيازات على ما لا يستطيع افراد الشعب  
الحصول عليه . وهناك « الجيش » الذي يؤلف طبقة  
جديدة ايضا ، ويتمتع بكثير من الامتيازات . واذن فأين  
المساواة بين أفراد الشعب ؟

أما الحرية ، فلا يستطيع احد أن يذكر أن الحرية  
مضمونة في روسية او سواها في ظل الاشتراكية  
الماركسية . ان الارهاب الذي ساد الاتحاد السوفياتي أيام  
ستالين لا مثيل له في التاريخ . وما زال هذا الارهاب  
مسيطرًا على النفوس . والذين زاروا الاتحاد السوفياتي  
شعروا بذلك واحسوا به ، رغم التخفيف الذي حققه  
خروشوف وخلفاؤه .

اما الرخاء في ظل الاشتراكية الماركسية فهو اسطورة .  
يقول برنتون :

« ان المستوى الواقعي للقاعدة الشعبية في روسيا  
مستوى منخفض . وتتضح هذه الحقيقة من خلال الستار  
الحديدي ، فان اكثر المؤيدين الغربيين حماسة لما يفترضون  
انه الهدف الاساسي للثورة الروسية ، وهو تحسين مستوى  
المعيشة للشخص العادي ، لا يستطيعون ان يدعوا أن ذلك  
المستوى قد وصل الان الى مستويات معظم الدول  
الغربية » - ص ٣٣٦ .

لذلك كان لا بد للقادة الاشتراكيين الروس من الهاء  
الشعب عن سوء حالته ، و فقره ، وعدم معرفته الرخاء ،  
بإثارة شعوره ضد الرأسمالية ، وضد الغرب . يقول



برتون : « ولا يحتاج المرء الى مجاراة اعداء التجربة الروسية حتى النهاية ، لكي يعترف بأن بعض الحقد المثار ضد الغرب ، وبعض التوتر المستمر في مجتمع يشعر بأنه في ثورة ، يمكن تفسيرهما بأنهما مجهود لتحويل اتباه الرجل العادي عن افتقاره للوفرة المادية » - ص ٣٣٧ .

ولم يخلص المجتمع الروسي - في طبقاته الجديدة من الاخلاق التي كان يسميها برحوازية فالتنافس والحسد ما يزالان يعملان في النفوس . ويقول المؤلفان : « بيك » و « غودين » اللذان درسا هذا الامر في روسية :

« بدأت طبقة الموظفين الجديدة بالتمتع تمتعا كاملا بالامتيازات المادية التي تصاحب مراقبة الملكية المؤممة ، ولم تتح الفرصة أمام هذه الطبقة التي لم يبلغ عمرها جيلا واحدا بعد لتخلق من نفسها طبقة حاكمة حقيقية . وكانت ايضا تخضع لضغط من جماهير اعضاء الحزب الذين كانوا يدفعون من اسفل ، وينظرون بعين الحسد الى امتيازات من يعلونهم .

« واما هذا الحد لجأت السلطة المركزية الى تصفية جميع هؤلاء الناس . وبدأ خلفاء اصحاب المناصب العالية

المعزولين والمعتقلين بالتمتع بالامتيازات التي صاحبت وظائف  
الذين سبقوهم ، وانتقلوا الى مساكنهم ، وتولوا مسؤولية  
جهازهم . »

ثم يقولان : « وعلى أية حال ، فان عضوية الطبقة  
الحاكمة ، راقفها شيء كثير من عدم الاطمئنان ، فلا أحد  
يحسد الموظفين على حياة تستدعي الاحتفاظ بحقيبتين  
صغيرتين جاهزتين دائما . واحدة في المكتب ، وواحدة في  
البيت تحتويان على اغطية للنوم ، وطعام ، وأشياء اخرى  
ضرورية في حالة الاعتقال » - الثورة ص ٣٣٩

وثمة أمر أخير يدل ايضا على عدم نجاح الثورة  
الاشتراكية الماركسية في روسية هو أن القادة الكبار ما  
يزالون يتراجعون عن مبادئ ماركس ويبدلونها . والامثلة  
على ذلك كثيرة ، وليس كتابنا موضوعا لبيانها ، ويكفي ان  
نذكر تطبيقات نظرية « ليرمان » في روسية .

وهكذا يبدو لنا مما ذكرنا ما يلي :

١ - ان الثورة الاشتراكية غايتها تغيير كل  
شيء ( النظم ، الاخلاق ، الافكار ) بطريق العنف .

والدم ، من حيث الاساس ، وبصورة مفاجئة .

٢ - العقائد الثورية زخرف يخفي دوافع الثوار الحقيقية : وهي الاستمتاع بالحياة ، والحصول على امتيازات كان يملكها اناس غيرهم .

٣ - معظم الثائرين الذين يتمسكون بالاشتراكية الماركسية يعانون مركبات النقص ، أو هم يحسدون الذين هم أحسن منهم حالا ، أو يرغبون في منافع مادية . أو يطمحون الى شيء هو اكبر من كفاءاتهم ، أو هم مجانين احيانا أو مرضى في نفوسهم .

٤ - يجتمع هؤلاء الثائرون المتشابهون حول واحد كبير منهم هو « الثائر الكبير » أو « المفضل العظيم » .

٥ - وفي سبيل البقاء في الحكم ، والتنعم بالمنافع التي صارت اليهم بحكم زوال سواهم ، ينادون بدوام الثورة واستمرارها .

٦ - ليس من الصحيح علميا ، بعد استقراء ثورات عديدة ، أن البشرية لا تتقدم الا بالثورات

وحدها ، فالثورة لا تعيد خلق البشرية بل تشوهها  
وتهدمها .

٧ - ان اكبر تجربة اشتراكية ماركسية، وأقدمها  
هي التجربة الروسية . وهذه التجربة لم تحقق الى  
الان الرخاء ولا الحرية ولا المساواة ، ولم تقض على  
الطبقات لظهور طبقات جديدة ذوات امتيازات .

٨ - ان التجربة الماركسية الروسية تتراجع عن  
مبادئ ماركس بعد أن ثبت لها أنها تقود الى الفقر  
والجوع والهلاك .

من هذه الصفحات يظهر لنا واضحا أن الثورة ليست  
طريقا للتقدم ، بل للخراب والدمار والرجوع الى الوراء .  
وان المناداة بالثورة بعد أن عرف العالم نتائجها في  
البلاد التي فرضت الثورة عليها ، ما هي الا خداع  
وتضليل .

• وأن المنافع في البلاد التي تصاب ببدء الثورة ، لا  
تعود على البلاد ، بل على الفئة القليلة التي تتسلط على  
الحكم ، وعلى الشعب الاعزل فتسوقه بالقوة والعنف

والارهاب سوق الحيوانات والبهاائم، دون النظر الى كرامة  
الانسان من حيث هو انسان ، ولا مراعاة حرته ، وابداعه .  
هذا ما أدت اليه الثورات الاشتراكية الماركسية في  
روسيا ، ويوغوسلافيا ، وأوروبا الشرقية ، وكوبا ،  
والصين الشيوعية .

انها لم تنجح حتى الان في أي بلد من بلاد العالم ،  
وأعني بالنجاح بلوغ الاهداف العليا واجتناء المنافع الخيرة  
التي نادى بها الثائرون وأوهموا الناس أنهم سيقدمونها  
اليهم .

فليس هناك ثورة قلبت الشقاء الى نعيم ، والضيق  
الى رخاء ، والفقر الى غنى .

وليس هناك ثورة حققت أي مساواة تقدمية فيها  
خير ، وانما كانت المساواة في الشر ، والفقر .

ولا عبرة لما تقوله بعض الثورات من أنه لا بد من  
الصبر ، لا بد من الانتظار ، لا بد من الوقت ، حتى  
يتحقق النعيم . فهذه تجربة الاتحاد السوفياتي تكاد يبلغ  
عمرها خمسين عاما ، والفرد الروسي من الشعب ما زال  
يعاني البؤس ، والفقر ، والجوع أحيانا . هذا عدا عن

الخوف ، والارهاب والكتب التي يجيا فيها •

إن هذه الثورات الاشتراكية الماركسية كانت كلها  
فاشلة فلماذا اذن ندعو الى هذه الثورة ؟ ولماذا نقول : لا  
طريق الا الثورة ؟ ولماذا نزين الثورة للعوام والبسطاء  
وضعاف العقول ؟ انه تضليل من تضليل الماركسية نفسها •

فعند الماركسيين لا قيمة للاخلاق ، ولا للدين ، ولا  
للتقاليد ، لانها كلها من صفات البورجوازية •

ونحن نستنكر هذا التضليل ، ونجده بشعا قبيحا ،  
ونراه بعيدا عن كل خلق ودين وتقاليد ، لاننا نؤمن  
بالاخلاق ، ونؤمن بالدين •

وايماننا بهما لانهما يدلان على الخير والحق دائما ،  
وهدفنا الخير ، والحق . واستنكارنا لاساليب الماركسية  
لانها أكاذيب وأضاليل •

## الفصل التاسع

### صفات

# الإشتراكيّات الثوريّة العربيّة

بعد أن رأينا الصفات العامة للثورات الإشتراكية الماركسية في العالم ، وما آلت إليه ، تقدم هنا ملخصا للصفات التي امتازت بها الإشتراكيّات الثورية العربية ، بعد استقرار طويل لنشوتها واعمالها ، مع العلم بأن كل فقرة من فقرات هذا الفصل يمكن أن توسع وتصبح فصلا كاملا .

أما الثورات التي نعنيها فهي التي قامت في مصر ، سورية ، الجزائر والعراق . وقد توافقت هذه الثورات في بعض الصفات ، وانفرد بعضها بصفات خاصة اخرى .

١ - قامت هذه الإشتراكيّات كلها بالقوة والعنف ،

على اثر انقلاب عسكري ، او ما يشبه الانقلاب

٢ - المصدر الاول لهذه الاشتراكيات ، مهما حاولوا تغيير مسمياتها ، هو المبادئ الماركسية .

٣ - تستند هذه الاشتراكيات الى قوة الجيش قبل كل شيء ، وليس لديها ، لصفقتها الثورية ، تأييد شعبي الا من فئة قليلة .

٤ - الحاكمون في هذه الاشتراكيات فئة قليلة ، ليس لهم ماض واضح ، وليس لديهم ، أحيانا ، مزايا علمية ثابتة . ولولا الثورة ما بلغوا المراكز التي هم فيها - والذي يتتبع سيرة حياتهم يجد فيها عقدا نفسية كثيرة ومختلفة هي التي دفعت بهم الى الثورة او الاشتراكية .

٥ - في ظل هذه الدكتاتوريات الاشتراكية جمعاء شلت الحريات ، وفرضت القيود من كل نوع .

٦ - المعارضة ممنوعة في ظل هذه الاشتراكيات ، وليس فيها ديموقراطية سياسية .

٧ - عملت هذه الاشتراكيات على تصفية البورجوازية والرأسمالية بعد أن وسمتهم باطلا بالرجعية ومعاونة



الاستعمار ، كأن هؤلاء ليسوا من الشعب • وكان الشعب هو العمال والفلاحون وحدهم .

٨ - صادرت هذه الاشتراكيات اموال الناس ، واستولت على أراضيهم ، ومصانعهم ، ومعاملهم ، واسهمهم في الشركات ، ولم ينج من ذلك حتى الفقراء حملة الاسهم القليلة ، دون ان تعوض عليهم رأسا .

٩ - لم تحترم هذه الاشتراكيات الدين ، فبعضها حاول تحقيره أو تشويهه ، ففُضرت المساجد وهدمت ، وقتل المصلون داخلها ، ولطخت جدرانها وأرضها بدماء الابرياء • واقتحمت ابوابها العساكر والدبابات . وبعضها الاخر جعل الدين عبثا في أقلام الكتاب والدعاة ، يجعلونه اشتراكية ماركسية تارة ، ويفسرون التاريخ الاسلامي تفسيراً مادياً تارة اخرى •

١٠ - لم تستطع هذه الاشتراكيات ان تدفع بالفقراء الى أعلى ، بل جعلت الاغنياء ومتوسطي الحال فقراء . فكان عملها تأميم الفقر والبؤس ولم ينج من هذا التأميم الا الطبقات الجديدة التي خلقتها هي وحلت محل الطبقات التي حاربتها • والطبقات الجديدة هي ، كما سنذكر ، أفراد الجيش ، ورجال الحزب ، والحاكمون •

١ - بعد القضاء على مأسموه بالرجعية والرأسمالية،  
فتح الطريق لطبقات جديدة لها امتيازات واسعة . هي :  
أفراد الجيش ، وافراد الحزب والحاكمون . وهذه  
الامتيازات تبدو في :

١ - الاستيلاء على المراكز الكبيرة .

٢ - اخذ المرتبات المرتفعة ، في الحكومة ، او  
في الشركات المؤممة .

٣ - الثراء المفاجيء بسبب هذه المرتبات ، او  
الوساطات لحل بعض المشكلات ، الذي ظهر في شراء  
الدور الواسعة ، او السيارات ، او غير ذلك من  
مظاهر البرجوازية .

١٢ - قضي في ظل هذه الاشتراكيات على دافع  
المبادهة الشخصية عند الافراد . فتأخرت الزراعة والصناعة  
والتجارة . وسبب ذلك نقصان الدخل القومي نقصانا  
واضحاً ، وافتقرت خزانة الدولة ، حتى ان الموظفين في  
بعض هذه البلاد الاشتراكية يقبضون رواتبهم بصعوبة ،  
وبعد تأخير عن الموعد المحدد لها .

١٣ - لم تكن هذه الاشتراكيات مجهزة بعناصر فنية  
تدبر الامور ، فأوكل تصريف شئون الدولة الى رجال

الحزب ، أو الاتباع الداخلين في نطاق الماركسية . وأكثرهم لا علم لهم ولا اختصاص ، لأن مبدأ هذه الاشتراكيات هو الاعتماد على المخلصين الحزبيين لا الاعتماد على أصحاب الكفاءات . فخربت الدوائر والمصانع والمعامل ، وزاد البطؤ في العمل ، وتأخر الانتاج وقل ، وسيطر الارتجال على تسيير الامور ، وهيمت السطحية على العمق والخبرة .

١٤ - رافق امتداد ظل هذه الاشتراكيات هجرة الكفاءات الفنية عن البلاد ، والتجاؤها الى بلاد أخرى ، انه سجن كبير يعيشون فيه ، وينتظرون الفرج من الله . لتخلص من التضيق عليها في العمل ، أو لتنجو من حكم الارهاب . وكانت الدولة قد أنفقت على خلق هذه الكفاءات الفنية ، على مختلف انواعها ، وميادينها ، ملايين من الليرات .

١٥ - ضربت هذه الاشتراكيات العزلة على شعوبها . فلا يخرج انسان من بلده الا باذن . وقد يمنح هذا الاذن او لا يمنح ، لثلا يرى الخارجون اذا قصدوا بلدا آخر يتبع النظام الاقتصادي الحر ، ما يتمتع به من رخاء وحرية واستقرار . وفي نفس الوقت تشن هذه الاشتراكيات حربا من الدعاية على ما يسمونه الاستعمار والرجعية ،

واخراج الاموال ، ليقدموا للناس مبررا لما يفعلونه .

١٦ - انتشرت في ظل هذه الاشتراكيات موجة من الوقاحة ، والتشهير ، والكذب ، والسباب والفضائح . كل ذلك باسم النقد . اتباعا لقول ماركس « غاية النقد هو اظهار الفضائح » ، وليس التقويم والارشاد على ما يفهمه البورجوازيون . وبذلك ضاعت المقاييس ، واختلت الموازين ، ودثر الحق ، وتسطن الباطل ، وساد الارهاب ، وظهرت الاباحية الماركسية اتم الظهور .

١٧ - تعمدت هذه الاشتراكيات تهديم الزعامات العربية التي كافحت وناضلت ايام الانتدابات . واخذت تطعن عليها ، وتشوه سمعتها ، وتلصق بها الاباطيل ، وتصورها بصورة الزعامات الناقصة أو المنفقة مع الاستعمار أو الخائنة . أما الزعامات الحقيقية فلم تظهر الا بظهور الاشتراكيين انفسهم على ما يزعمون .

١٨ - ازدهر في هذه الاشتراكيات فن « تديير المؤامرات » ، فكل يوم خونة يحاكمون ، وجواسيس يقبض عليهم ، ورجعيون يسجنون . وتلصق التهم المختلفة بالناس بشكل واسع ، وتؤلف « المحاكم الاستثنائية » أو « محاكم الشعب » ويصدر عن رؤسائها مهازل .

١٩ - وسواء كان الحاكم الذي يوجه الحكم « فردا » أو « قيادة اجماعية » فان مشكلة الحرية بالنسبة لافراد الشعب تبقى واحدة . فالاحكام العرفية ، وقوانين الطوارئ من مستلزمات هذه الماركسيات ، والحريات العامة والخاصة معطلة ، واذا حدث والعيت قوانين الطوارئ أو الاحكام العرفية ، اعتبروا ذلك منة على الشعب وطنظنوا بها ، لان الاحكام العرفية - على رأيهم - ضرورة لحماية الثورة .

٢٠ - يكثر في ايام هذه الاشتراكيات التبذير والاسراف والتصرف بأموال الشعب لامرين :

الاول : لاشباع رغبات الطبقات الجديدة الممتازة ، وضمان المنافع لها .

الثاني : للمحافظة على بقائهم في الحكم . فيكون للمخابرات ، والمكتب الثاني ، والتجسس ، وشراء الضمائر مبالغ ضخمة جدا .

٢١- هذه المبالغ التي تنفق على الامر الثاني تكون بعيدة عن الرقابة المالية يتصرف بها الحاكم الفرد ، أو القيادة الاجماعية كما تريد . في حين كان لا ينفق قرش واحد ، في ظل الانظمة التي يسمونها « رجعية » الا بعد

موافقة المجالس النيابية وديوان المحاسبة .

٢٢ - يحدث في هذه الاشتراكيات الصدام بين المدنيين الحزبيين ورجال الجيش . فيدعي كل فريق أنه هو الذي مهد للآخر السبيل الى السلطان والحكم . ويسبب هذا الصدام ازمات حادة في الحكم ، ينتج عنها تهافت الحكم ، واضطراب الادارة ، وتجاوز القوانين أحيانا ، وتشابك الصلاحيات أحيانا أخرى ، والتدخل في سبيل المنافع .

وقد يحدث هذا الصدام بين فئتين أو أكثر من فئات الجيش نفسه .

٢٣ - ومن مستلزمات هذه الاشتراكيات ازدياد البطالة ، لذلك فهي تشجع هجرة العمال الى بلاد مجاورة ، أو بعيدة . لتحاشي شغبهم ، أو للتخلص من أزمات اقتصادية جديدة .

٢٤ - تتوالى الازمات الاقتصادية على البلاد التي تطبق الاشتراكيات ، من غذائية أو تجارية . فتضطرها الى دفع الشعب الى الجوع والقلق على الغذاء ، او تصطدم بارتفاع الاسعار ، أو تدفعها الى الاستعانة بالقروض الخارجية، حتى من دول قد تسميها بالرأسمالية، وتكون القروض

مشروطة بشروط خفية أو ظاهرة ، مهما كانت مصادرها .  
ويؤدي هذا كله الى هبوط مستوى العيش هبوطا  
ملموسا ، وتبقى الحياة الاقتصادية مضطربة لا تستقر ،  
هزيلة لا تنمو ، لانه يعوزها الاستقرار ، والنهج  
الاقتصادي الصالح ، والحكم الآمن .

٢٥ - أثبتت التجارب ، في هذه البلاد التي طبقت  
الاشتراكية الماركسية أن هذه الاشتراكية عاجزة . سواء  
ذلك في الناحية العقائدية ، أو في الناحية العسكرية .  
لقد فشلت النظريات ، كما فشل الحكم بقوة المدفع  
والدبابة . فالحاكمون في قلق دائم ، وتحفظ مستمر .  
هذا في الباطن ، أما في الظاهر فجعجعة ، وتظاهر بالرفاه ،  
واستتباب الامور ، وبموالات الشعب كله للحاكمين .

٢٦ - أجمعت هذه الاشتراكيات العربية في البلاد  
المختلفة ، على ما يحدث بينها أحيانا من تنافس وتصادم  
وسباب وتشهير ، على الولاء للمذهب الماركسي ، متمثلا  
في الاتحاد السوفياتي ، أو في الصين الشيوعية . وقد  
ربط بعضها سياستها الاقتصادية بالسوفيات ارتباطا وثيقا .

٢٧ - فقد الناس في ظل هذه الاشتراكيات معنى  
الراحة ، والهناء ، فهم في قلق دائم ، مثل حكامهم . لقد

نسوا كيف تكون الابتسامات ، لانهم في تقطيب دائم ،  
وهم ملازم ، وأصابهم اليأس ، فسيان عندهم ما يحدث  
وما يكون . واستولى عليهم الاستسلام ، لما تأتي به الليالي  
والايام ، فكل منهم يعيش ليومه ، ولا يفكر في غده .

٢٨ - شجعت بعض هذه الاشتراكيات تسلط اهل  
الريف والقرى على اهل المدن ، وأصبح اضهاد اهل  
المدن الكبرى شيئا طبيعيا . وهذا يبدو واضحا في  
سورية . وسدت الطرق امام اهل المدن وأبناء الاسر  
المعروفة المدنية ، وفتحت امام اهل القرى . وخص هؤلاء  
تقريبا بالانتساب الى الجيش ،

٢٩ - ورغم المحاولات المختلفة ، لم تستطع هذه  
الاشتراكيات اكتساب جميع جماهير الشعب ، ولا الامتداد  
في جميع بلاد العرب . واصابتها في داخلها نكسات مؤلمة  
سواء ذلك في مصر ، او اليمن ، او الجزائر ، او العراق .  
وحاول بعضها الارتداد عن الطريق الثوري الماركسي ليجد  
الطريق الذي ينفع بلده قبل كل شيء . وتكبد بعض هذه  
الاشتراكيات الخسائر الجسيمة في الاموال والارواح في  
سبيل نشر مبادئها في بلاد عربية أخرى ، وتعرض أهلها  
بسبب ذلك الى الجوع والضييق الشديد ، رغم تصوير  
الانكسار انتصارا .



٣٠- وأخيرا فان الموجه الاول في هذه الاشتراكيات  
كلها كان « الحقد » ، والغاية الاولى هي سرعة الوصول  
الى الغنائم قبل أن يحدث انقلاب جديد يودي بأهلها .



# الخاتمة

يقول ماركس في البيان الشيوعي :

« ان القانون والاخلاق والدين ليست كلها في

نظر البروليتاريا الا أوهاما بوجوازية •

« ان الماركسية تؤمن بأهدافها ، وكل وسيلة

تؤدي الى هذه الغاية هي خير •

« ان النظام الخلفي في كل مجتمع ، وديانته ،

وقوانينه ليست غير جزء من بناء زائف ، أقامته

ظروف الانتاج • فهي تترجم ، بالتالي ، عن مصالح

الطبقة السائدة » •

ويعقب على هذا القول الدكتور صلاح مخيمر ورفيقه

في كتابهما المسمى « في الاشتراكية العربية » بقولهما :

« وبديهي أن لا تجد القيم الخالدة في العقائد الدينية  
مكانا لها ضمن هذا الجهاز الفكري عن الإخلاق • وبديهي  
أن تغير القيم . . . . وأن يعدم التقيد بأية قيم تقليدية  
مادامت مصلحة المعركة تقضي بذلك » - ص ٨٥ «

ان هذين الاستشهادين يلخصان لنا كل ما نريد  
بيانه في هذا الكتاب

فالماركسية التي يستوحون مبادئها لا تؤمن بقانون ولا  
دين ولا أخلاق •

وكل وسيلة تؤدي الى أهدافها فهي جائزة عندها .  
ولذلك كان من البديهي أن لا نجد للدين مكانا ضمن  
الجهاز الماركسي •

ومن ثم فان من الجائز عندها ، وعند اتباعها ، تشويه  
الدين ، أو التضليل باسم الدين .

واذ كنا رأينا أن التضليل باسم الدين لنشر  
الاشتراكية يطبق فعلا في الاشتراكية العربية ، وثبت  
لدينا أن هذا من وسائل الماركسية نفسها ، فلم يعد لدينا  
أي شك في أن الاشتراكية العربية ماركسية المبادئ  
والوسائل والاهداف •

ولن يجد الاشتراكيون في المطاعن التي ذكرناها شيئاً  
غير طبيعي . فكل وسيلة تؤدي الى الغاية التي يريدونها  
هي خير .

ولكن المهم أن يفهم غير الاشتراكيين هذه الاساليب،  
ويعرفوها ، ثم يحكموا على مذهب يجيز أخذ المال ،  
وتقييد الحريات ، وهدم المجتمع ، وحنى تشويه الدين  
والتضليل باسمه .

واننا واثقون أن هذه العقيدة التي يحاولون تطبيقها  
لن يكتب لها العمر الطويل . فما زالت النكسات تتوالى  
عليها وهي لم تدرج بعد ، ولولا ما يرافقها من قوة  
وبطش تستعين بهما على البقاء ، ما تنفست قط . والسبب  
أنها ، خلاف ما تدعي ، لم تقم على العدل ، ولم تضمن  
الحرية ، ولم تحقق المساواة ، ولم تحترم كرامة الانسان ،  
ولم تأت الا بالآلام والخراب والمآسي ، والجوع والفاقة  
والفقر .

واننا مؤمنون « بحتمية » زوال العقائد والمذاهب  
الفاصلة الهدامة للانسانية ، مهما اتيح لها البقاء .  
لقد ضعفت الانسانية بعض الاحيان أمام

الامراض والابوئة الفتاكة ، لكنها جهدت للتغلب عليها  
والبطش بها ، وتغلبت فعلا .

لقد مر في تاريخنا شبهات هذه الموجات ، فما  
استطاعت الصمود ، ولا استطاعت « تغيير المجتمع » . ان  
حركة « القرامطة » لدليل على ما نقول . وقد كان القرامطة  
اشد بلاء وأعظم نكرا من الماركسيين اليوم . لقد مضوا  
رغم أنهم بلغوا اليمن وانتشروا في العراق وفارس  
والبحرين .

ولقد دخل على الاسلام مئات من العقائد العجبية ،  
والآراء الغريبة ، والمذاهب المتطرفة المغالية . وأتيح لبعضها  
أن يظهر وينتشر في فترة من الزمن ، وأن ينشر معها  
الاضطراب والقلق والخوف والجوع والخراب . لكنها  
زالت كلها ، لانها فاسدة ، وبقي الاسلام . انه لم يبق  
منها الا أسماؤها وأخبارها مفرقة في الكتب .

لكن اين الدين يقرأون تاريخنا من هؤلاء الاشتراكيين  
ويعرفونه حق المعرفة ، واين الدين يفقهون الاسلام منهم  
على حقيقته ؟ لو كانوا عرفوا ذلك لادركوا أن جهودهم  
لتغزونا وتهدم ديننا وتقاليدنا ، كما مرت في تاريخنا من  
ستذهب هباء .

ولقد عادت اليوم هذه العقائد الاشتراكية المتطرفة  
قبل لكنها ستمضي كما مضت أمس . ان التاريخ يعيد  
نفسه .

على أن قولنا «بحتمية» ذهاب هذه العقائد الفاسدة،  
كما ذهب من قبل ، لا يكفي . ولا بد من العمل على  
تطوير المبادئ الفقهية الاسلامية ، واستخراج نظام منها  
يحل المشكلات التي واجهتنا بها المدينة الحديثة ، لأن  
الاسلام ، في بنيانه الاصيل ، ليس فرديا فقط يؤدي الى  
الرأسمالية ، وليس جماعيا فقط يؤدي الى الماركسية .  
فقد تنزه عن عيوب الرأسمالية والماركسية معا ، ولم يخل  
من كل مفيد للفرد والجماعة معا . لقد استطاع الاسلام أن  
يتخطى من قبل هذه المشكلات عندما أتيح له علماء كبار  
يفكرون ويجهدون ويستخرجون للناس الانظمة، ويدلونهم  
على الطريق . وإن في القرآن ، والحديث ، والقياس ،  
والاجماع ، والاجتهاد، ومراعاة الضرورات، ما يساعد على  
بلوغ أعظم غاية ، ونوال أصعب هدف .

ان الاسلام ، باعتباره نظاما اجتماعيا واقتصاديا ،  
هو وحده الذي يستطيع انقاذ الناس مما يتخبطون فيه من  
الفوضى ، في كل مكان . انه القوة الثالثة التي ينبغي

الرجوع اليها • ليس هناك ادنى شك ، في هذا • ان فشل  
التجارب الاشتراكية الماركسية ، المرير-والواضح ، في  
البلاد العربية - وخاصة في اليمن ، حيث وجهت الاشتراكية  
المصرية جميع جهودها ، وقواها ، وذخايرها ، وأموالها ،  
ودعاياتها - ليؤكد أن هذه الاشتراكيات الطفيلية سيقضى  
عليها ، او ستراجع عن أهدافها • ومن هنا كان لعلماء  
المسلمين ومفكريهم وذوي الثقافة الواسعة منهم المجال  
العريض للعمل • العمل لافهام الناس اولا ما هو الاسلام •  
والعمل لصوغ النظام الذي ينبغي اتباعه • وانه لعمل خطير  
ونبيل ، ينقذ الاسلام ، وينقذ المسلمين ، بل ينقذ الانسانية  
كلها من خراب محقق ، وآلام تفور ، وهلاك محتم لا يبقى  
ولا يذر •



# المصادر

- ١ - المقالات الاسبوعية في جريدة « الحياة » بيروت
- ٢ - المقالات الاسبوعية في جريدة « الاهرام » القاهرة.
- ٣ - مجلة « الرسالة » - القاهرة
- ٤ - مجلة « الثقافة » - القاهرة
- ٥ - مجلة « الطليعة » ، « والكاتب » في القاهرة
- ٦ - مجلة « منبر الاسلام » ، القاهرة
- ٧ - جريدة « الثورة » دمشق

## الدراسات عن الاشتراكية :

- ١ - نورمان ماكنزي ، موجز تاريخ الاشتراكية - دار القلم ، القاهرة ١٩٦٥
- ٢ - ج. هـ - كول ، تاريخ الفكر الاشتراكي - وزارة الثقافة والارشاد القومي بالقاهرة ١٩٦٣
- ٣ - كارل ماركس ، مختارات من المؤلفات الاولى - دار دمشق ، بلا تاريخ
- ٤ - كارل ماركس ، الصراعات الطبقة في فرنسا - دار دمشق ، ١٩٦٤

- ٥ - ماركس - انكلز ، العمل المأجور ، المسألة  
الفلاحية - دار دمشق ، ١٩٦٤ رقم ١٣٣
- ٦ - روبرت فوسنر ، مستقبل الرأسمالية - اخترنا لك ،  
القاهرة ، الدار القومية
- ٧ - برنارد شو ، مقالات في الاشتراكية الفابية - اخترنا  
لك ، ١٧٥ القاهرة ، الدار القومية
- ٨ - محمود الجوهري ، في الطريق الى الحرية  
والاشتراكية والوحدة - القاهرة - كتب قومية ،  
العدد ٢٧٥ - الدار القومية
- ٩ - جوزيف شومبتير ، الرأسمالية ، الاشتراكية ،  
الديموقراطية - الدار القومية ، ١٩٦٤
- ١٠ - حمدي حافظ ، ثورة ٢٣ يوليو - الدار القومية ،  
القاهرة ١٩٦٤
- ١١ - هربرت ماركوز ، الماركسية السوفياتية - دار  
الطبعة ، بيروت ١٩٦٥
- ١٢ - احمد الشرباصي ، الدين والميثاق - الدار القومية ،  
القاهرة ١٩٦٥

- ١٣ - دراسات في الفكر الاشتراكي المعاصر  
- دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٥
- ١٤ - عصمت سيف الدولة ، اسس الاشتراكية العربية -  
الدار القومية ، القاهرة ١٩٦٥
- ١٥ - محمد طلعت عيسى ، الاشتراكية العربية  
والاشتراكيات العالمية - الاتحاد الاشتراكي  
العربي ١٩٦٥
- ١٦ - عبد الواحد الوكيل ، اضاء على الاتحاد الاشتراكي  
العربي - الدار القومية ١٩٦٤
- ١٧ - عبد المنعم شمس ، ديموقراطية الاتحاد القومي -  
الدار القومية ١٩٦٥
- ١٨ - جمال عبد الناصر ، عدم الانحياز اقوال الرئيس  
جمال عبد الناصر - الدار القومية ١٩٦٥
- ١٩ - عباس حافظ ، الشيوعية في الاسلام - مكتبة  
العرب القاهرة ١٩٥٥
- ٢٠ - عبد المنعم نمر ، الاسلام والمبادئ المستوردة -  
دار القلم ، القاهرة ١٩٦٥

- ٢١ - عبد المنعم نمر ، الاسلام والشيوعية - دار الكتاب  
العربي ، القاهرة ١٩٥٦
- ٢٢ - احمد محمد خليفة ، المنهج العلمي والاشتراكية -  
الدار القومية ، ١٩٦٥
- ٢٣ - مصطفى المستكاوي ، معالم الطريق في التطبيق  
الاشتراكي - الدار القومية ١٩٦٢
- ٢٤ - ابراهيم السباعي ، أمّ الاشتراكية خديجة بنت خويلد  
- الدار القومية ١٩٦٥
- ٢٥ - صبري ابو المجد ، البناء الاشتراكي - الدار القومية
- ٢٦ - كمال ابو الخير ، تطور التعاون في ضوء الاشتراكية  
العربية - الدار القومية
- ٢٧ - ل. ا. بريجنيف ، الانتصار العظيم للشعب  
السوفياتي - الانباء السوفياتية ، ملحق العدد ١١
- ٢٨ - جلال يحيى ، اصول ثورة يوليو ١٩٥٢ - الدار  
القومية ١٩٦٤
- ٢٩ - حمدي حافظ ، الاشتراكية والتطبيق الاشتراكي  
في ج.ع.م - الدار القومية ١٩٦٥

- ٣٠ - عبد المنعم شمس ، سنوات المجد - الدار القومية  
١٩٦٣
- ٣١ - محمد البهي ، الاسلام ونظم الحكم المعاصرة -  
مكتبة وهبة ١٩٦٥
- ٣٢ - محمد مختار أمين مكرم ، الميثاق في ضوء القرآن  
الانجلو المصرية
- ٣٣ - محمدي السعيد ، الاشتراكية والاسلام - الدار  
القومية ، ١٩٦٤
- ٣٤ - جمال عبد الناصر ، اقامة الحياة الديمقراطية ، من  
اقوال الرئيس عبد الناصر - الدار القومية
- ٣٥ - خالد محمد خالد ، ازمة الحرية في عالمنا - مكتبة  
وهبة ١٩٦٤
- ٣٦ - الدولة والنظام الاجتماعي في يوغوسلافيا  
- الدار القومية ١٩٦٥
- ٣٧ - علي صبري ، التطبيق الاشتراكي في مصر - الدار  
القومية

٣٨ - جمال عبد الناصر ، الميثاق - الدار القومية -  
طبقات مختلفة .

٣٩ - طائفة من الكتاب ، مع الميثاق - الدار القومية

٤٠ - مخيم ورزق ، في الاشتراكية العربية - الدار  
القومية

٤١ - عدلي سليمان ، مسئوليات الشباب في مجتمعنا الثائر  
- الدار القومية

٤٢ - كرين برتون ، الثورة : عناصرها ، تحليلها ،  
نتائجها - دار الكاتب العربي - بيروت .

٤٣ - بورجان ورامبير ، الاشتراكية ، اخترنا لك ٣١ -  
الدار القومية

٤٤ - مظهر ، اسماعيل ، الاسلام لا الشيوعية القاهرة

٤٦ - الدواليبي ، معروف ، الاسلام امام الرأسمالية  
والماركسية. بيروت ، عدة طبقات .

٤٧ - اسكندري ، عمر ، الشيوعية على حقيقتها القاهرة

١٩٥١

٤٨ - جمال عبد الناصر ، نحن والعراق والشيوعية  
بيروت دار النشر

٤٩ - جمال عبد الناصر ، الديموقراطية من اقوال الرئيس  
عبد الناصر القاهرة - الدار القومية

٥٠ - جمال عبد الناصر ، الاشتراكية من اقوال عبدالناصر  
القاهرة - الدار القومية

# الفهرست

ص	الى القاريء
•	
٩	الفصل الاول : ما هي الاشتراكية التي يريدون تطبيقها
١٢	١ - الاشتراكية الاوروبية
٢٥	٢ - الاشتراكية العربية
	الفصل الثاني : الموافقات بين مباديء ماركس ومباديء
٣٥	الميثاق المصري
	الفصل الثالث : من يؤمن بالاشتراكية في مصر والبلاد
٤٣	البرية
٤٩	الفصل الرابع : التضليل الاشتراكي باسم الدين
٧٩	الفصل الخامس : هل تعترف الاشتراكية بالدين
	الفصل السادس : انموذج من التطبيق الاشتراكي
٨٩	على الدين
٩٩	الفصل السابع : الاشتراكية تلهو بالدين
١٠٥	الفصل الثامن : هل الثورة هي الطريق الوحيد ؟
١١٩	الفصل التاسع : صفات الاشتراكيات الثورية العربية
١٣١	الخاتمة :